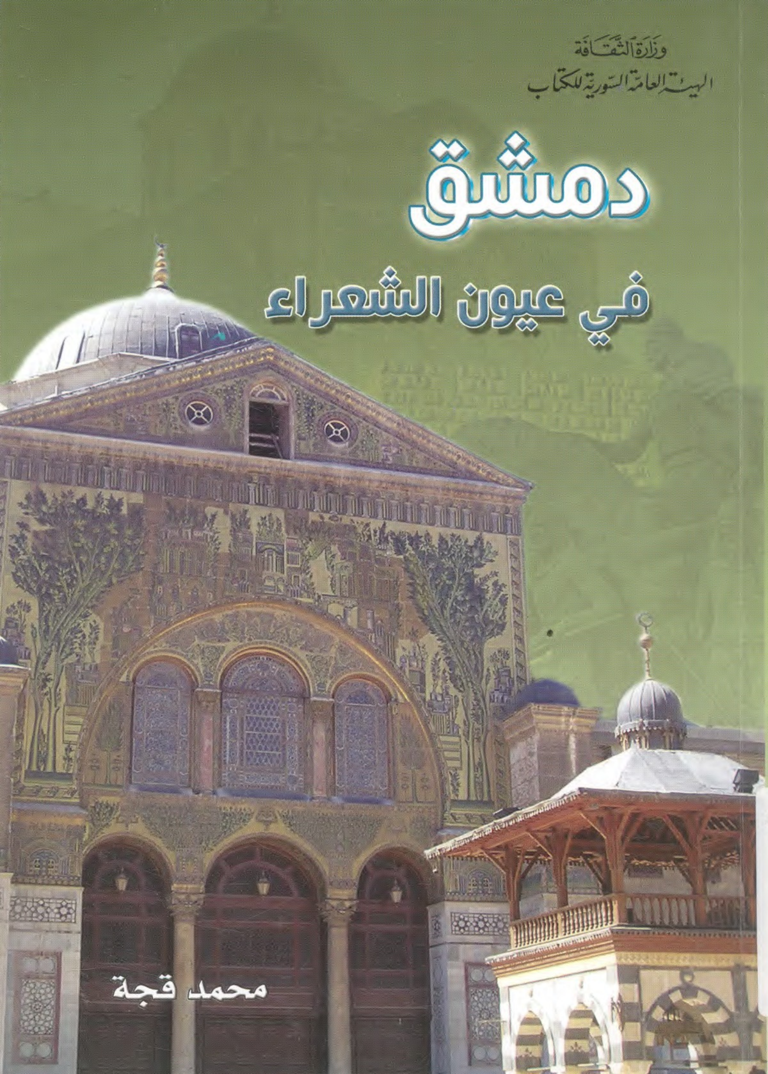


وزارة الثقافة

الهيئة العامة السورية للكتاب

دمشق في عيون الشعراء

محمد قجة

دمشـق

فـي عيون الشعراء

محمّد قجّة

دمشق

في عيون الشعراء

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة — دمشق ٢٠٠٨

هذا الكتاب

د. رياض نعسان آغا

وزير الثقافة

في دمشق الخالدة خلود التاريخ، والتي شهدت فجر التاريخ، ومنها انطلقت قوافل الحضارة لتعمّ قارّات العالم القديم الثلاث، وتنشر معها التسامح والاعتراف بالآخر ومحبة الإنسان.

دمشق العربية، عروبة التاريخ والثقافة والطموح والمواقف عروبة التفاعل مع الشعوب، والتكامل مع الحضارات.

كانت دوماً الوجه الجميل بخضرة غوطتها، وقلوب أبنائها البررة، وهم يصنعون مواكب الزمن المتدفّق عطاءً وحيويةً وحكمة.

وإذا كانت دمشق عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٨، فإنّها كانت عبر تاريخها المركز الحضاريّ المشعّ لتلك الثقافة، والمركز الحضاريّ المتناغم مع المدن الأخرى التي أنجبتها الحضارة الإسلامية؛ مثل بغداد وقرطبة وفاس وتلمسان وأصفهان وحلب والري وبخارى وسمرقند.

هذا الوهج الحضاري الذي لم يلغِ الآخر، وإنّما كان له بعده الإنساني، والذي ترك بصماته في شتّى نواحي العلم والمعرفة البشرية، فأغنى التراث الإنساني بملايين الكتب في العلوم الإنسانية والتطبيقية أدباً وشعراً وفلسفة وطبّاً وزراعة وفلكاً ... إلى جانب علوم الدين المتنوّعة.

وهذا الكتاب الذي يقدّم «دمشق» من خلال عيون الشعراء عبر عصور مختلفة من التاريخ العربي، يعتبر إضافةً أدبية ومعرفية لعرض وجه دمشق المشرق من خلال قصائد أبرز الشعراء العرب، على سبيل المثال وليس الحصر. وما قيل في دمشق أكبر وأكثر من أن يحيط به كتاب أو سِفر، فهي المدينة التي وُلدت في أحضان التاريخ، وواكبت مسيرته، وصنعت أمجاده، وتربّعت على قمّة المدن عاصمةً للدولة العربية الأموية، من جبال البيرنيه غرباً، حتى الهمالايا شرقاً.

وتبقى دمشق ذاكرة الثقافة العربية، ودفقها الذي لا يعرف التوقّف.

دمشق والثقافة العربية
وعيون الشعراء

علِّمينا فِقْهَ العروبةِ يا شا　　مُ فأنتِ البيانُ والتبيينُ

دمشق فقه العروبة، دمشق البيان والتبيين. هذا الكلام لم يقله نزار قباني عبثاً، وهو الذي يؤكد دائماً:

ودمشقُ تُعطي للعروبةِ شكلَها　　وبأرضها تتشكَّلُ الأحقابُ

والدهرُ يبدأ من دمشقَ، 　　تبقى اللُغاتُ ، وتُحفَظُ

هل كان نزار قبّاني محقِاً أم مبالغاً... دمشق تشكّل وجه العروبة، ودمشق تحفظ اللغات والأنساب والأحقاب... وعلى أرضها تكوّنت عظمة العروبة، وبقيت العظمة على مرّ السنين.

لن نتوقَّف عند تاريخ دمشق الموغل في القدم، ولا عند دورها عاصمةً لمملكة آرامية، ولا عند دورها خلال الحقبة الكلاسيكية من الاحتلال الروماني وقبله الإغريقي.

إنّما سوف نتوقف عند بعض المحطّات التي أعطت دمشق وجهها العربيّ الحضاري، وأعطت دمشق من خلال تلك المحطات عبقاً إنسانياً توزع على قارات العالم.

أولاً: هناك وهمٌ تاريخي شائع، يزعم مروّجوه أنَّ بلاد الشام كانت بيزنطيّةً وأنَّ العراق كان فارسياً ساسانياً، ومن ثَمَّ فإنَّ أصحاب هذا الزعم يقولون: إنَّ العرب أقبلوا من شبه جزيرتهم محتلين للشام والعراق.

والتاريخ الموضوعي يؤكّد أنَّ البيزنطيّين كانوا طبقةً حاكمةً محتلةً في بلاد الشام، شأنَ الساسانيّين في العراق. كما تؤكّد الدراسات التاريخية الموثقة أنَّ سكان تلك البلاد الأصليين كانوا يتألفون من القبائل العربية، ومن السريان الآراميين، ومن بقايا الحضارات الأسبق كالآشوريين.

والقبائل العربية كانت تمتد حتى منابع دجلة والفرات، وعرفت هذه البلاد ممالك عربية صرفة، من مثل: جندب، الحضر، الأنباط، التدمريون، المناذرة، الغساسنة، وبعضها يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد.

كما يحفظ لنا التاريخ أسماء القبائل العربية التي كانت تسكن الشام والعراق، مثل: بكر وتغلب ومضر وربيعة وتنوخ ولخم وجذام ونمير وكلب وكلاب وسواها.

وكان شعراء الجاهلية يتردّدون على الشام والعراق، يمدحون ملوك المناذرة والغساسنة، وفي طليعة هؤلاء النابغة الذبياني وحسان بن ثابت، صاحب القول المشهور في الغساسنة:

للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهُمْ	يوماً بجِلَّقَ في الزّمانِ الأوّلِ
يَسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهِمُ	بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ
بِيضُ الوُجوهِ، كريمةٌ أحسابُهُمْ	شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ

وعمرو بن كلثوم، وعدي بن زيد. كما ترد أسماء المدن والقرى العربية في الشام والعراق في شعر هؤلاء الشعراء، مما يُعدُّ دليلاً على الوجود العربي ديموغرافياً وثقافياً قبل الفتح الإسلامي بقرون عديدة.

وقد شهدت دمشق في تلك القرون حدثاً فائق الأهمية هو انتشار المسيحية، وكان لدمشق دور محوريّ في هذا الميدان، وهي التي استقبلت بولس الرسول، وهي التي ساهمت في انتشار المسيحية بين سكّان بلاد الشام من عرب وآراميين أصبحوا يدعون بالسريان بعد اعتناقهم المسيحية.

ثانياً: كان فتح العرب المسلمين لبلاد الشام تحريراً لها من السيطرة الأجنبية الأوربية المتمثلة بالبيزنطيين وقبلهم الرومان والإغريق. وكانت معركة

اليرموك بمثابة الرد الحاسم الذي أعاد للشرق كرامته بعد احتلالٍ أوربي طويل، وهذه المعركة رسمت تاريخ البلاد بصورة نهائية، وأعادت الاعتبار لسائر أطراف التركيبة السكانية التي تشكل البلاد.

ولم تكن دمشق غريبةً عن العرب المسلمين الفاتحين، ولم يكونوا غرباء عنها، وهي المدينة التي يشكل العرب جزءاً هاماً من نسيجها الديموغرافي قبل الإسلام.

وقد كانت محطة أساسية في (رحلة الشتاء والصيف)، وكان أبناء قريش يعرفونها تمام المعرفة.

وخلال نصف قرن (وهي فترة قصيرة جداً في عمر التاريخ والشعوب) تغدو دمشق عاصمةً لأكبر دولة عربية عرفها التاريخ، ويقول عنها الجاحظ: دمشق عاصمة الدولة العربية الأعرابية، فقد كانت دمشق حاضرةً مزدهرةً تضرب جذورها عميقاً في تاريخ الحضارة الإنسانية، وكانت في الوقت نفسه على طرف البادية التي تعجّ بالقبائل العربية، وهي القبائل التي كرّست سريعاً قيام تلك الدولة المترامية الأطراف، والتي بلغت مع نهاية القرن الهجري الأول حدود جبال البيرنيه غرباً والصين شرقاً، ممتدّة على ثلاث قارات بمساحة تقارب /٢٠ مليون كم٢/ كانت تدار مركزياً من دمشق، عاصمة تلك الدولة الكبرى التي أخذت شكل الإمبراطورية العظمى، والتي ألغت وقزّمت أكبر إمبراطوريتين قبلها: الرومان والفرس الساسانيين.

ولعلَّ شوقي قد عبّر عن هذا الامتداد حينما قال:

لـولا دمـشقُ لما كانـتْ طليطلـةٌ ... ولا زَهَـتْ بـبني العبّـاس بَغْـدانُ

في تلك الفترة ... أي في أواخر القرن الهجري الأول كانت دمشق قد ازدادت عظمتها ببناء الجامع الأمويّ أيام الوليد بن عبد الملك، وفي أيام الوليد كانت الدولة العربية في أوج استقرارها السياسي وامتدادها الجغرافي، وتطورها العمراني. وما يعنينا في هذا المجال أولاً هو الجانب الثقافي المتصل بالتعريب واللغة العربية وعلومها المختلفة.

ويمكننا الوقوف على أبرز الإنجازات في الأمثلة التالية:

١- تعريب الإدارات والدواوين، وما يتصل بذلك من إعداد الموظفين المدربين الذين قاموا بنقل المراسلات والمعاملات المختلفة إلى اللغة العربية، وما لذلك من أثر حاسم في مجالات الإدارة المختلفة.

٢- تعريب النقود، وذلك بسكّ عملات جديدة بكتابات عربية وشهادات إسلامية، وأثر ذلك في الجوانب المعنوية والاقتصادية، وتكريس التميُّز والاستقلال، وتعزيز هيبة الدولة.

٣- ويتصل بتعريب النقود تنظيم الضرائب ومعاملات بيت المال، والأنشطة الاقتصادية الأخرى؛ من زراعة وخَراج وتجارة وفق تعليمات الشريعة الإسلامية، وباللغة العربية.

٤- وقبل كل ذلك حملت الفتوحات معها روح الحضارة الإسلامية، واللسان العربي المبين الذي هو لغة القرآن الكريم، فأصبحت هذه الشعوب تتسابق إلى تعلُّم اللغة العربية ودراستها والإبداع فيها.

ولعلَّ عبارات نزار قباني المختصرة تلخِّص هذه الرسالة الحضارية حول قوافل الفتح التي قال فيها:

عن السرايا الزاهيةْ

تحمل من دمشق في ركابها

حضارة وعافيةْ

وهكذا أصبحنا فيما بعد، نجد أسماء العلماء الكبار في شتى مجالات المعرفة تحمل أسماء مدن مثل: البخاري، الترمذي، الأصفهاني، التلمساني، الشيرازي، التبريزي، الكابلي، القيرواني، القرطبي، الشاطبي، الهروي، البلخي، الكرماني، الرازي، إلى جانب المدن العربية الصميمة، وذلك في إنتاج ملايين الكتب التي بقي منها بعد كلِّ الكوارث والنكبات قرابة ستة ملايين مخطوط باللغة العربية، موزعة في أنحاء العالم.

ثالثاً: وإذا كان وهج الثقافة العربية في دمشق قد بلغ ذروته أيام الوليد في القرن الأول للهجرة، فإنَّ هذا الوهج انتقل إلى أقصى الغرب مع الفتى المغامر العجائبي (صقر قريش)، الذي زرع في الأندلس نخلة العروبة ثقافة وفكراً وعمراناً وحضارة، وبلغ هذا الوهج ذروته خلال القرن الرابع الهجري أيام عبد الرحمن الناصر وابنه لحكم المستنصر بالله، ولم يكن هذا الوهج إلا امتداداً لوهج دمشق المتدفق ألقاً من المشرق، عبر الرسالة الحضارية الرفيعة، وكان الأندلس جسر العبور الذي صنع فيما بعد ما يُسمى عصر التنوير في أوربا، بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي.

وإذا كانت دمشق تُزهى بجامعها الأموي الفريد، فإنَّ قرطبة تفخر بجامعها الذي يحمل بصمات عدد من الأمراء والخلفاء، ولا يزال حتى اليوم قبلة العمارة الباذخة والفن الرفيع.

وفي تلك المرحلة، وفي منتصف القرن الثالث للهجرة، حاول الخليفة العباسي (المتوكل على الله) أن يستعيد شيئاً من الحضور العربي لخلافته في بغداد وسامراء، فما كان منه إلاّ أن قرّر العودة بالخلافة إلى دمشق، وجاء معه شاعره الفذ (الوليد البحتري) ابن بلاد الشام في منبج، وفي دمشق أنشد قصيدته الخالدة:

العيشُ في ليل (داريّا) إذا بَرَدا — والراحُ نمزجها بالماء مِنْ بَرَدَى

أما دمشقُ فقد أبدتْ محاسنَها — وقد وَفَى لَكَ مُطْرِيها بما وَعَدا

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ — مستحسنٍ وزمانٍ يشبه البلدا

ولكن تجربة المتوكل لم يكتب لها النجاح.

ولعلَّ الامتداد الأندلسيَّ لدمشق العروبة، والذي استمر ثمانية قرون، كان الأكثر تأثيراً في تطوير الحضارة الإنسانية ومعارفها المتنوعة، هذا الامتداد الذي برز في ظلاله أعلام خالدون مثل: ابن مسّرة، ومسلمة المجريطي، وابن رشد، وابن حزم، وأبناء زُهر، وابن زيدون، والزهرواي، والشيخ الأكبر محيي الدين

ابن عربي، وابن البيطار، وابن العوّام الاشبيلي، ومئات سواهم، كان لكلٍّ منهم أثره الحاسم في مسيرة الفكر البشري، وبخاصة ابن رشد في ميدان الفلسفة والتأويل والتعددية، والزهرواي في الطب، وابن عربي في التصوف. هذه الحضارة المتسامحة المرنة المعترفة بالآخر والقائمة على أساس متين، من قول الله تعالى: ﴿لا إكراهَ في الدِّين﴾.

رابعاً: وتعود دمشق إلى واجهة الأحداث في فترة حروب الفرنجة التي تسميها المراجع الأوربية (الحروب الصليبية). ويكفي دمشق العريقة فخراً أن ترابها يضمُّ أضرحة الأبطال الثلاثة لتلك الحروب وهم:

- نور الدين زنكي
- صلاح الدين الأيوبي
- الظاهر بيبرس

هؤلاء الأبطال الثلاثة مثّلوا ذروة التصدي للعدوان الفرنجي، واستطاعوا بحكمتهم توحيد الصفوف، وتعبئة القوى، وتحطيم جبروت العدوان.

ولكلٍّ من هؤلاء العظماء الثلاثة أيادٍ بيضاء في دمشق من الجوانب العمرانية والاقتصادية والعلمية والتعليمية، وتقترن باسم كلٍّ منهم مبانٍ مختلفة؛ كالمدارس والحمامات والمكتبات والخانقاهات والبيمارستانات، وذلك رغم الانشغال بالجهد العسكري الكبير الذي لم يَثْنِهِمْ عن المشروعات العمرانية والتعليمية، ولا تزال آثارهم حيّةً شاهدةً على عظمة تلك المرحلة.

ومن المهمّ جداً هنا أن نشير إلى دور تلك المؤسسات التعليمية في حفظ اللغة العربية واستمرارها وغناها في ميدان المؤلفات المتنوعة، وفي ذلك ردٌّ حاسمٌ على مَنْ يحاول النبش في الأصول العريقة لهؤلاء الرجال الأبطال، لإظهار أنهم لم يكونوا من العرب، وكأنَّ الأمور تقاس بلون الدم، أو شكل الوجه.

إنَّ الثقافة هي المعيار الأول والأخير في الانتماء، وقد كانت الثقافة العربية هي المظلة الواسعة التي يحتمي بها كل مواطن من أبناء البلاد في إطار الحضارة

الإسلامية السمحة التي تنطلق من قول راسخ مبين: **﴿ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن﴾**.

وهكذا شكّلت تلك المراحل سياجاً دفاعياً عن البلاد بالمعنى الاستراتيجي والعسكري، كما شكلت سياجاً ثقافياً معرفياً قدمت البلاد من خلاله مئات الأعلام في مجالات العلم والتأليف الموسوعي.

إنَّ نزيف الحروب العدوانية التي دامت قرنين من الزمن: الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، لم يتمكن من هزيمة الروح الحضارية للأمة، على الرغم من الإنهاك واستنزاف الموارد، وبقيت الروح العربية في ألقها ووهجها وعطائها. ويكفي ذكر أمثلة لبعض أسماء المباني والمدارس والمكتبات التي تعود إلى العصور الزنكية والأيوبية والمملوكية، نعرف مدى ما خلفته تلك الحقب رغم فداحة الحروب:

- البيمارستان النوري
- دار الحديث النورية
- المدرسة العدلية
- المدرسة الأتابكية
- المدرسة الناصرية
- المدرسة الظاهرية ومكتبتها
- المدرسة الجقمقية
- المدرسة الجوهرية

إلى جانب عشرات المباني المتميزة من جوامع ومدافن وحمامات وسواها.

خامساً: في العهد العثماني الذي امتد أربعة قرون، برزت دمشق كمحطة رئيسية هامة على طريق الحج، وأخذت اسمها (شام شريف). وكانت قوافل الحج على قدر كبير من الأهمية دينياً واجتماعياً واقتصادياً أمنياً، وكان والي دمشق مسؤولاً عن تنظيم أمور هذه القوافل وحمايتها من قطاع الطرق، وتأمين تموينها وسلامتها وصولاً إلى الحج وعودة منه.

وقد كانت قافلة الحج ضخمة جداً لأنها تمثل الامتداد الجغرافي لتلك الإمبراطورية المترامية الأطراف من الدانوب حتى المحيط الهندي، والشمال الإفريقي وشبه الجزيرة العربية، امتداداً على ثلاث قارات.

كما أفادت دمشق من الاستقرار السياسي في تطوير تجارتها على طرق القوافل التجارية العالمية، حتى فتح قناة السويس الذي جعل الطريق التجاري العالمي بحرياً، فأفقد بلاد الشام الكثير جداً من دورها الاقتصادي العالمي.

وتحتفظ دمشق ببعض المعالم العمرانية الجميلة من تلك الفترة، ومن أبرزها التكية السليمانية وعدد من الجوامع، وقصر العظم، وخان أسعد باشا، وسوق الحميدية وسوق مدحت باشا، وفي الفترة المتأخرة الخط الحديدي الحجازي.

ووصل إلى دمشق في بدايات العصر العثماني المؤرخ المغربي (المقّري) صاحب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، وهو يتحدث عنها في مقدمة كتابه بإعجاب شديد فيقول: «دمشق الشام، ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام، والغوطة الغناء، وهي المدينة المستولية على الطباع، المعمورة البقاع».

نزلنا بها ننوي المُقامَ ثلاثةً ... فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنّق في الخطاب، فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفكر، والغوطة تسحر الألباب:

قال لي: صِفْ دمشقَ مولًى رئيسٌ ... جمّل الله خَلقَهُ واحتِشامَهْ

قلتُ: كَلَّ اللسانُ في وصف قُطرٍ ... هو في وجنة البسيطةِ شامَهْ

ويرى المقّري في دمشق صورة بلده تلمسان في أقاصي المغرب فيقول:

«وعند عودتي لتلك الأقطار الجليلة الأوصاف العظيمة الأخطار، تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار:

لَمَّا وردتُ الصّالحيّـ ... ـةَ حيثُ مُجْتَمَعُ الرفاقِ

وشمِمْتُ من أرض الشآ ... مِ نسيم أنفاسِ العراقِ

أيقنـــتُ لِـــي ولِمَـــنْ أُحِـــ ـــبُ بجمـــع شمـــلٍ واتّفـــاقِ

ولم يكن المقّري أول معجب بدمشق وغوطتها، فكلُّ الرحالة والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين والأجانب الذين زاروا دمشق فتنوا بها، وكتاباتهم معروفة ومدونة ومنشورة. ومن أجمل تلك الكتابات ما قاله الخوارزمي أبو بكر نزيل بلاط سيف الدولة:

«جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وصغد سمرقند، وشِعب بوّان، وجزيرة الأبلّة، وقد رأيتها كلها، وأفضلها دمشق».

ومن بلاط سيف الدولة أيضاً يزورها الشاعر الصنوبري فيقول:

صـفَتْ دُنيـا دِمـشقَ لـساكنيها فلـستَ تـرى بغـير دِمـشْقَ دُنيـا

تفـيض جـداولُ البلّـورِ فيهـا خـلال حـدائقٍ ينبـتْنَ وشـيا

فمِـنْ تُفَّاحـة لم تَعْـدُ خـداً ومـن رُمَّانـة لم تَعْـدُ ثـديا

ونجد كتاباتٍ مماثلةً لدى ابن جبير وابن بطوطة والمسعودي والإدريسي والجيلاني وبدر الدين الحلبي والصفدي وابن الصائغ الحنفي والبدري والبشيخ الماريني وعبد الغني النابلسي، وكثيرين سواهم.

سادساً: شهدت دمشق تقلّبات القرن العشرين: اضمحلال الدولة العثمانية، الاستعمار الفرنسي، الاستقلال، نكبة فلسطين وأثرها في الحياة العربية وتفاعلاتها. واستعادت دمشق مكانتها عاصمة سياسية للجمهورية العربية السورية.

قدمت دمشق أمثلةً صارخةً في الوطنية وحفظ الذات القومية، كان من أبرزها استشهاد البطل يوسف العظمة، الذي أعلن أنّ المستعمر لن يدخل البلاد إلا على جثث الشهداء، كما تألّقت دمشق في الثورة الوطنية /١٩٢٥م/ وقال فيها شوقي:

سـلامٌ مـن صَـبا بَـردَى أرقُّ ودمـعٌ لا يُكَفْكَـفُ يـا دِمَـشْقُ

جـزاكُمْ ذو الجـلالِ بـني دِمـشقٍ وعِـزُّ الـشرقِ أوّلُـهُ دِمَـشْقُ

كما قدّمت مثالاً رائعاً في بطولة رجال الأمن الذين يحرسون مبنى المجلس النيابي، والذين ضحوا بدمائهم أمام وحشية المستعمر الفرنسي عام ١٩٤٥.

وأرسلت سورية جيشها ليدافع عن أرض فلسطين، وتعرّضت للضغوط، وساهمت في صنع الوحدة مع مصر، ثم عرفت الاستقرار السياسي منذ ثورة آذار ١٩٦٣، وبعدها الحركة التصحيحية ١٩٧٠.

خلال هذا القرن الأخير من عمر دمشق المديد، جرت أحداث بالغة الأهمية على المستوى الثقافي والتعليمي، يمكن إيجازها فيما يلي:

١- عرفت مشق وسورية وسائر بلاد الشام نهضة صحفية باللغة العربية، وشهدت ولادة عشرات الصحف والمجلات التي عززت قوة اللغة العربية والثقافة العربية.

٢- كانت جامعة دمشق أوّلَ جامعة في الوطن العربي تدّرس العلوم النظرية والتطبيقية باللغة العربية، بما في ذلك الطب والهندسة. وقد نجحت في ذلك أيّما نجاح، ولا زالت مستمرة في نجاحها، ومعها الجامعات الأخرى في سورية. وقد أفرز التعليم العالي مئات الكتب والدراسات باللغة العربية، وطوّر المصطلحات العلمية والفلسفية والمعرفية لتواكب اللغات العالمية الحية، وكان لمجمع اللغة العربية الذي تأسّس عام ١٩١٩م أثره الكبير في هذا المجال.

٣- حافظ الإعلام في سورية على قدرٍ كبيرٍ من التمسك بالفصحى والابتعاد عن اللهجات الدارجة، ونجح في ذلك نجاحاً باهراً، لأنَّ الإعلام لا يخاطب مدينة معيّنة ولا حارة ضيقة، بل يخاطب كلَّ أقطار الوطن العربي.

٤- نشطت منذ بدايات القرن العشرين الحركة الأدبية بالفصحى؛ من رواية وقصة ومسرح، وبرز الشعر بصورة كاسحة قبل أن يفسح المجال للرواية في النصف الثاني من القرن العشرين.

وبرزت أسماء شعراء كبار على مستوى الوطن العربي؛ كالزركلي والبزم وأنور العطار وشفيق جبري وعمر أبو ريشة وغيرهم... ثم الساحر الدمشقي نزار قباني الذي لم تعرف مدينةٌ شاعراً عاشقاً كما عرفت دمشق عشق نزار لكلِّ تفاصيلها:

فرشتُ فوقَ ثراكِ الطاهرِ الهُدُبا	فيا دمشقُ.. لماذا نبدأ العتبا؟
حبيبتي أنتِ.. فاستلقي كأغنيةٍ	على ذراعي، ولا تستوضحي السَّببا
أنتِ النساءُ جميعاً. ما منِ امرأةٍ	أحببتُ بعدك إلا خِلتُها كذبا

ومن جانب آخر شهدت سورية - وبخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين- حركة قصصية وروائية مذهلة، من أعلامها: عبد السلام العجيلي، حنا مينة، زكريا تامر، خيري الذهبي، شكيب الجابري، نبيل سليمان، فاضل السباعي، حسيب كيالي، وليد إخلاصي، محمد أبو معتوق، كوليت خوري، ضياء قصبجي، غادة السمان.. إلخ، والكاتب المسرحي العالمي سعد الله ونوس، ورفاقه من رجال الحركة المسرحية.

ونشطت السينما السورية والدراما التلفزيونية التي أخذت مكانها المنافس بقوة في الفضائيات العربية.

٥- يشكل القرار السياسي الناضج السياج الحامي والحارس لكلِّ تلك الانجازات الثقافية والحضارية، ويتمثل هذا القرار في التمسك بالتعريب تعليماً وإعلاماً وإدارة وبحثاً علمياً، وحرصاً على اللغة العربية الفصحى وتطوير أدائها ليواكب مسيرة العصر والمعلوماتية المتسارعة.

وقد صدرت في تاريخ سورية المعاصر عدة قرارات سياسية هامة في هذا المضمار، كان آخرها تشديد السيد الرئيس بشار الأسد في خطاب القسم أمام مجلس الشعب على ضرورة تمكين اللغة العربية في شتى مجالات الحياة التعليمية والعلمية والعملية والإعلامية.

لهذا كلِّه يأتي دور دمشق عاصمة للثقافة العربية لكي تكرِّس كلَّ هذا التاريخ المجيد بكافة أبعاده وأطيافه ومحاوره، وهي في سباق مع عواصم الثقافة العربية التي سبقتها والتي ستتلوها، وهي جديرةٌ بإحراز قصب السبق في هذا الميدان.

وتحيةً لهذا الدور الثقافي المتجذّر في عروبته، يأتي هذا الكتاب الذي يرى من خلاله الشعراء (دمشق) مدينة التاريخ الخالد، وقد قمنا بجمع بعض القصائد وترتيبها في سياق زمني بدءاً من حسّان بن ثابت، مروراً بفحول العصر العباسي؛ كالبحتري والصنوبري والمتنبي، وصولاً إلى شعراء العصر الحديث.

وتبقى دمشق قلب العروبة النابض، تاريخاً وحضارةً وفكراً وثقافةً وعطاءً لا يتوقف.



المختــارات

حسّان بن ثابت(*)

أسألتَ رسم الدار أم لم تسألِ بين الجوابي فالبُضيعِ فحومَلِ
فالمرجِ مرجِ الصُفَّرَيْنِ فجاسِمٍ فديارِ سلمى درَّساً لم تُحْلَلِ
دمنٌ تعاقَبَها الرياحُ دوارسٌ والمدجناتُ من السِّماكِ الأعزلِ
دارٌ لقومٍ قد أراهُمْ مَرَّةً فوق الأعِزَّةِ عِزُّهم لم يُنقَلِ
لله دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهُمْ يوماً بجِلَّقَ في الزَّمانِ الأوَّلِ
يمشون في الحلل المضاعَف نسجُها مشيَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ
الضاربونَ الكبشَ يبرقُ بيضُهُ ضرباً يطيحُ له بنانُ المفْصِلِ
والخالطونَ فقيرهم بغنيِّهِمْ والمنعمون على الضعيف المرمِلِ
أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ لا يسألون عن السوادِ المقبِلِ
يَسقُونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمِ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السلْسَلِ
يسقون درياق الرحيق ولم تكنْ تُدعى ولائدهُمْ لنَقْفِ الحَنْظَلِ
بيض الوجوه كريمةٌ أحسابُهُمْ شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ
فلبثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ثم ادَّكرتُ كأنَّني لَمْ أفْعَلِ

(*) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضع وضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص ٣٠٧.

إمّـــا تـــرى رأســـي تغيَّـــرَ لونُـــهُ	شمطـاً فأصـبح كالثَّغـامِ المُحْـوِلِ
ولقـــد يرانـــي موعِـــديَّ كـــأنّني	في قـصر دومـةَ أو سـواءَ الهيكـلِ
ولقـد شـربتُ الخمـرَ في حانوتِها	صـهباءَ صـافيةً كطعـمِ الفُلْفُـلِ
يـسعى علـيَّ بكأسِـها متنطِّـفٌ	فَـيُعِلُني منـها ولـو لَـمْ أنْهَـلِ
إنَّ الـــتي نـــاولْتَني فردَدْتُهـــا	قُتِلـتْ قُتِلْـتَ فهاتِهـا لم تُقْتَـلِ
كلتاهمـا حَلَـبُ العـصيرِ، فعاطِني	بزُجاجـةٍ أرخاهُمـا للمِفْـصَلِ
بزُجاجـةٍ رقـصتْ بمـا في قعرِهـا	رقص القلـوصِ براكـبٍ مـستعجِلِ
نـسبي أصـيلٌ في الكـرامِ، ومِـذْوَدي	تكـوي مواسـمُهُ جُنُـوبَ المـصْطَلي
ولقـد تقلَّـدنا العـشيرةُ أمرَهـا	ونـسودُ يـومَ النائبـاتِ ونعتلـي
ويـسودُ سـيِّدُنا جَحـاجِحَ سـادةً	ويـصيب قائلُنـا سـواءَ المَفْـصِلِ
ونحـاول الأمـر المهـمَّ خِطابُـهُ	فـيهِمْ ونفـصِلُ كـلَّ أمـرٍ مُعْـضِلِ
وتـزورُ أبـوابَ الملـوكِ رَكابُنـا	ومتـى نُحكَّـمْ في البريَّـةِ نَعْـدِلِ
وفتـى يُحِـبُّ الحمـدَ يجعلُ مالَـهُ	مِـنْ دونِ والـدِهِ وإنْ لَـمْ يُـسْأَلِ
بـاكرتُ لذَّتَـهُ ومـا ماطلتُهـا	بزُجاجـةٍ مـن خـير كـرمٍ أهـدَلِ



مخلفٌ في الذي وعد(*)

البحتري

مخلـــفٌ في الـــذي وعـــدْ ... ســيلَ وصـــلاً فلــم يَجُـــدْ
فَهْـــوَ بالحـــسنِ مُـــستبِـ ... ـــدٌ وبالـــدَّلِّ منفـــرِدْ
يتثنّـــى علـــى قـــضيـ ... ـــبٍ، ويَفْتَـــرُ عـــن بَـــرَدْ
قـــد تطلَّبـــتُ لي مخرجـــاً ... مـــن هـــواهُ فلـــم أجـــدْ
بـــأبي أنـــت ا لـــيس لي ... عنـــك صـــبرٌ ولا جَلَـــدْ
ضـــاق صـــدري بمـــا أُجِــ ... ــنُّ، وقلـــبي بمـــا أجـــدْ
وتغـــضَّبْتَ أن شَـــكَوْ ... تُ جـــوى الحـــبِّ والكَمَـــدْ
واشـــتِكائي هـــواك ذنْــ ... ـــبٌ فـــإنْ تَعْـــفُ لا أعُـــدْ
قـــد رحلنـــا عـــن العِـــرا ... قِ وعـــن قيظهـــا النَّكِـــدْ
حبَّـــذا العـــيشُ في دِمَـــشْـ ... ـــقَ إذا ليلُهـــا بَـــرَدْ
حيـــث يُـــستَقْبَلُ الزَّمـــا ... نُ، ويُستحـــسَنُ البَلَـــدْ
سَـــفَرٌ جـــدَّدَتْ لنـــا الـــ ... ـــلَّهوَ أيَّامُـــهُ الجُـــدُدْ
عـــزمَ اللهُ للخليـــ ... ـــفةِ فيـــهِ علـــى الرَّشَـــدْ
ملـــكٌ تعجـــز البريَّـــ ... ـــةُ عـــن حـــلِّ مـــا عَقَـــدْ

(*) ديوان البحتري - شرح حسن كامل الصيرفي - دار المعارف ١٩٦٣ - مج٢ - ص ٧٠٧.

يـا إمـام الهـدى الـذي احْـ ـــتاطَ للـــدينِ واجتهَـــدْ

سِــرْ بـسعدِ الــسُعودِ في صـحبةِ الواحــدِ الــصَّمَدْ

وابــقَ في العـــزِّ والعُلُــ ـــوِّ لنـــا آخـــرَ الأبَـــدْ



داريّـــا[*]

البحتري

وقال يمدحه عند قدومه دمشق:

العيشُ في ليلِ (داريّا) إذا بَرَدَا ... والراحُ نمزُجُها بالماءِ من (بَرَدى)

قل للإمام الذي عمَّتْ فواضلُهُ ... شرقاً وغرباً فما نُحصي لها عددا:

اللهُ ولاّك عــن علــمٍ خلافتَــهُ ... والله أعطاكَ ما لم يعطِه أحدا

وما بعثْتَ عِتاق الخيل في سَفَرٍ ... إلا تعرَّفَتْ فيه اليُمْنَ والرَّشَدا

أمّا (دمشقُ) فقد أبدتْ محاسِنها ... وقد وفى لك مُطريها بما وَعدا

إذا أردتَ مـلأتَ العـينَ مـن بلـدٍ ... مستحسَنٍ، وزمان يُشبهُ البلدا

فلستَ تُبصرُ غلا واكِفاً خَضِلاً ... أو يانعاً خَضِراً، أو طائراً غَرِدا

كأنّما القيظُ ولّى بعد جَيْئَتِهِ ... أوِ الرّبيعُ دنا من بعدِ ما بعُدا

يا أكثر الناسِ إحساناً، وأعرضَهم ... سَيْباً، وأطولَهم في المكرُماتِ يدا

ما نسألُ اللهَ إلا أن تدوم لكَ الـ ... نعماءُ فينا، وأن تبقى لنا أبدا



[*] ديوان البحتري - شرح حسن كامل الصيرفي - دار المعارف ١٩٦٣ - مج٢ - ص ٧٠٩.

الصنوبري (❖)

أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الحلبي.

أمــــرُّ بـــــدير مُـــــرَّانٍ فأحيَـــا ... وأجعَـلُ بيـتَ لَهْـوي بيـتَ لَهْيـا
ويُبْــــردُ غُلَّـــتي بَـــرَدى، فــسُقْيا ... لأيـــامي علــــى بَـــرَدى ورَعْيــا
ولي في بـــابَ جَيْـــرونَ ظبـــاءٌ ... أُعاطيهـــا الهـــوى ظَبْيـــاً فَظَبْيـــا
ونِعـــــم الـــــدارُ داريّــــا ففيهـــا ... حـلا لِـيَ العَيْشُ حتـى صـارَ أريـا
صــفَتْ دُنيــا دِمــشقَ لــساكنيها ... فلـستَ تـرى بغـير دِمـشْقَ دُنيـا
تفـــيض جـــداولُ البِلّـــورِ فيهـــا ... خــلال حــدائقٍ ينبـــتْنَ وشـــيا
مُظَلَّلَـــةٌ فواكههـــا بـــأبهى الـــ ... ـــمناظرِ في نواظرِنَـــا وأهْيَـــا
فمِـــنْ تُفَّاحـــة لم تَعْـــدُ خـــداً ... ومِـــن رُمَّانـــة لم تَعْـــدُ ثـــديا



(❖) ديوان الصنوبري، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، د. ت، ص ٤٦٥.

دان له شرقُها ومغربها(*)

المتنبّي

قال يمدح عضد الدولة عند قدومه عليه بشيراز:

أوهِ بَديلٌ مِن قَولَتي: واها	لِمَن نَأتْ وَالبَديلُ ذكراها
أوهِ لِمَن لا أرى مَحاسِنَها	وَأصلُ واهاً وَأوهِ مَرآها
شاميَّةٌ طالَما خَلَوتُ بِها	تُبصِرُ في ناظِري مُحَيّاها
فَقَبَّلَت ناظِري تُغالِطُني	وَإِنَّما قَبَّلَت بِهِ فاها
فَلَيتَها لا تَزالُ آوِيَةً	وَلَيتَهُ لا يَزالُ مَأواها
كُلُّ جَريحٍ تُرجَى سَلامَتُهُ	إلاّ فُؤاداً رمَتهُ عَيناها
تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّما ابتَسَمَت	مِن مَطَرٍ بَرقُهُ ثَناياها
ما نَفَضَتْ في يَدي غَدائرُها	جَعَلتُهُ في المُدامِ أفواها
في بَلَدٍ تُضرَبُ الحِجالُ بِهِ	على حِسانٍ وَلَسنَ أشباها
لقِينَنا وَالحُمولُ سائِرَةٌ	وَهُنَّ دُرٌّ فَذُبنَ أمواها
كُلُّ مَهاةٍ كَأَنَّ مُقلَتَها	تَقولُ: إيّاكُمُ وَإِيّاها
فيهِنَّ مَن تَقطُرُ السُيوفُ دماً	إذا لِسانُ المُحِبِّ سَمّاها

(*) ديوان شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي، تح: د. عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، سعيد جودة السحّار، مكتبة مصر، الفجالة، ص ٤١٤-٤١٥.

أُحِبُّ حِمصاً إلى خُناصِرَةٍ وَكُلُّ نَفسٍ تُحِبُّ مَحياها

حَيثُ التَقى خَدُّها وَتُفّاحَ لُبـ ـنانَ وَثَغري عَلى حُمَيّاها

وَصِفتُ فيها مَصيفَ بادِيَةٍ شَتَوتُ بالصَّحصَحانِ مَشتاها

إن أعشَبَتْ رَوضَةٌ رَعَيناها أو ذُكِرَت حِلَّةٌ غَزَوناها

أو عَرَضَت عانَةٌ مُقَزَّعَةٌ صِدنا بِأُخرى الجِيادِ أُولاها



بدر الدين، الحسن بن حبيب الحلبي

عــرّجْ إذا مــا شِــمْتَ بــرقَ الــشآمْ وحــيِّ أهــلَ الحــيِّ واقــرَ الــسلامْ

وانــزلْ بــإقليمٍ جزيــلِ الحَيــا بــارك فيــه الله ربُّ الأنــامْ

العــزُّ والنــصرُ لديــه، ومــا لِعُــروةِ الإســلام عنــه انفِــصامْ

مــن أوليــاء الله كــم قــد حــوى ركنــاً بمــرآه يطيــبُ المقــامْ

وهــو مقــرُّ الأنبيــاء الأُلى والأصــفياء الأتقيــا الكــرامْ

كــم مــن شــهيدٍ في حمــاةُ وكــمْ مــن عــالمٍ فــردٍ وكــم مــن إمــامْ



لسان الدين ابن الخطيب

بلـدٌ تحـفُ بـه الريـاض كأنّـه وجـهٌ جميـلٌ والريـاض عِـذارُهُ
وكأنّمـا واديـه معـصمُ غـادةٍ ومـن الجـسور المحكمـاتِ سـوارُهُ



المقّري التلمساني (*)

تزيد على مرّ الزمان طُلاوةً   دمشقُ التي راقت بحُلوِ المشاربِ
لها في أقاليم البلادِ مشارقٌ   منزَّهةٌ أقمارُها عن مغاربِ

❖ ❖ ❖

محاسن الشام أجلى   من أن تُسامَ بحدٌ
لولا حمى الشرعِ قلنا   ولم نقف عند حدٌ:
كأنّها معجزاتٌ   مقرونةٌ بالتحدّي
والروض قد راق العيون بحُلّةٍ   قد حاكها بسحابِهِ آذارُ
وعلى غصونِ الدوحِ خُضرُ غلائلٍ   والزهرُ في أكمامِه أزرارُ

❖ ❖ ❖

امّا دمشقُ فخضرةٌ   لعبتْ بألباب الخلائقْ
هي بهجة الدنيا التي   منها بديع الحسن فائقْ
لله منها الصالحيّـ   ـةُ فاخرتْ بذوي الحقائق
والغوطةُ الغنّاء حيّـ   ـتْ بالورود وبالشقائقْ
والنهرُ صافٍ والنسيـ   ـمُ اللدنُ للأشواقِ سائقْ

(*) نفح الطيب، المقّري، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، مج ١، ص ٥٨.

والطـــــيرُ بالعيــــدانِ أبـــــ ـــدتْ في الغنـا أحلـى الطرائــقْ
ولآلــــئ الأزهـــــارِ حلّـــــ ـــت جيـدَ غُـصنٍ فهـوِ رائـق
ومـــــراودُ الأمطـــــارِ قـــد كُحلــتْ بهـا جـدقُ الحـدائق
لا زال مغناهــــا مــــصو نــاً آمنــاً كــلَّ البوائـــق

❖ ❖ ❖

دمــــــشقُ راقـــــتْ رؤاءً وبهجـــــةً وغـــــضارهْ
فيهـــا نـــسيمٌ عليـــلٌ صـــحّ فوافـــتْ بـــشارَهْ
وغوطـــــةٌ كعـــــروسٍ تُزهـــى بأعجـــب شـــارَهْ
يـــا حُـــسنها مـــن ريـــاضٍ مثـــل النـــضار نـــضارَهْ
كـــالزّهرِ زهـــراً وعنـــها عـــرفُ العـــبير عبـــارَهْ
والجـــامعُ الفـــردُ منـــها لمَـــنْ أراد اختـــصارَهْ
تـــذكيرها مـــن رآهـــا عـــدناً وحـــسبي إشـــارَهْ
دامـــت تفـــوقُ ســـواها إنالـــةً وإنـــارهْ

❖ ❖ ❖

قال لي: ما تقول في الشام؟ حَبْرٌ كلّمـا لاح بـارقُ الحـسنِ شـامَهْ
قلـتُ: مـاذا أقـول في وصـف قطـرٍ هـو في وجنـة المحاسـنِ شـامَهْ
قال لي: صِفْ دمشقَ مولًى رئيسٌ جمّـل الله خَلقَـهُ واحتـشامَهْ
قلتُ: كَلَّ اللسانُ في وصف قُطرٍ هـو في وجنـة البـسيطةِ شـامَهْ

❖ ❖ ❖

وإذا وصفتَ محاسنَ الدنيا فلا تبـدأْ بغـير دمـشقَ فيهـا أوّلا
بلـدٌ إذا أرسـلتَ طرْفَـكَ نحـوه لم تلـقَ إلا جنّـة أو جـدولا

ذا وصفُ بعضِ صفاته وهي التي تُعيي البلغَ وإن أجاد وطوَّلا

❖ ❖ ❖

سقى دمشقَ الشامِ غيثٌ ممرعٌ مِن متسهلٍ ديمةٍ دفّاقِها
مدينةٌ ليس يضاهى حسنُها في سائر الدنيا ولا آفاقِها
تودُّ زوراءُ العراقِ أنّها تُعزى إليها لا إلى عراقِها
فأرضُها مثل السماءِ بهجةً وزهرُها كالزُّهْرِ في إشراقِها
نسيمُ ريّا روضِها متى سرى فكَّ أخا الهمومِ من وثاقِها
قد ربَعَ الربيعُ في ربوعِها وسيقتِ الدنيا إلى أسواقِها
لا تسأمُ العيونُ والأنوفُ من رؤيتِها يوماً ولا انتشاقِها

❖ ❖ ❖

فما رياضُ زهرِ الربيعِ إذا بدت في وشيها البديعِ
ضاحةٌ عن شنبِ الأقاحِ عند سُفور طلعةِ الصباحِ
غنّى بها مطوّق الحمامِ وصافحتها راحةُ الغمامِ
وباكرتها نسمةٌ من الصبَّا فأصبحتْ كأنّها عهدُ الصبَّا
نضارةً ورونقاً وبهجَهْ تُفدى بكلّ ناظرٍ ومهجَهْ
أطيبُ من ثنائهم عبيرا بين الورى، واسأل به خبيرا
دامتْ معاليهم على طول الزَّمنْ يُروى حديثُ الفضل عنها عن
وثابتٍ وقُرّةٍ وسعدِ وأُسعفوا بنَيْلِ كلِّ وعدِ
فهي التي ضَحِكَ البهارُ صباحَها وبكتْ عشيَّتَها عيونُ النرجسِ
واخضرّ جانبُ نهرِها فكأنّهُ سيفٌ يُسَلُّ وغمدُهُ من سندسِ

❖ ❖ ❖

إن تكـــن جنّـــة الخلـــودِ بـــأرضٍ   فدمـــــشقٌ، ولا يكــــون ســــواها
أو تكــن في الــسماء فهــيَ عليهــا   قـــد أمـــدّت هواءهـــا وهواهـــا
بلـــــدٌ طيـــــبٌ وربٌّ غفـــــورٌ   فاغتنمهـــا عـــشيّةً وضـــحاها



لَمَّـــــا وردتُ الـــــــصّالحيّ ـــةَ حيـــثُ مجتمـــعُ الرفـــاقِ

وشممّـــــتُ مـــن أرض الــــشآ مِ نـــسيم أنفـــاس العـــراقِ

أيقنـــتُ لِـــي ولِمَـــنْ أُحِـــ ـــبُ بجمـــع شمـــلٍ واتّفـــاقِ

وضـــحكتُ مـــن فـــرح اللّقـــا ء كمـــا بكيـــتُ مـــن الفـــراقِ

لم يبـــــقَ لي إلا تجـــــشُـ ـــمُ أزمـــنِ الـــسّفر البـــواقي

حتـــى يطـــول حـــديثُنا بـــصفاتِ مـــا كنّـــا نلاقـــي



دمشق (*)

أحمد شوقي

قُمْ ناجِ جلِّقَ وانشُدْ رَسْمَ مَنْ بانوا
مَشَتْ على الرسمِ أحداثٌ وأزمانُ

هذا الأديم كتابٌ لا كِفاءَ لَهُ
رثُّ الصحائفِ باقٍ منه عنوانُ

الدين والوحي والأخلاق طائفةٌ
منه وسائرُهُ دنيا وبهتانُ

ما فيه إن قُلِّبتْ يوماً جواهرُهُ
إلا قرائحُ من رادٍ وأذهانُ

بنو أميَّةَ للأنباء ما فتحوا
وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتهُمُ
فهل سألتَ سريرَ الغرب ما كانوا؟

(*) الشوقيّات، أحمد شوقي، مج ٢، دار الفكر، دمشق، د. ت، ص ٩٩.

عالين كالشمسِ في أطرافِ دولتها
في كلِّ ناحيةٍ مُلْكٌ وسلطانُ
يا ويح قلبيَ مِمّا انتابَ أرسُمَهُمْ
سرى به الهمُّ أو عادته أشجانُ
بالأمس قمتُ على الزهراء أندبهم
واليومَ دمعي على الفيحاء هتانُ
في الأرض منهم سَماواتٌ وألويةٌ
ونَيِّراتٌ وأنواءٌ وعُقبانُ
معادن العزِّ قد مال الرغام بهم
لو هان في تربه الإبريزُ ما هانوا
لولا دمشقُ لَما كانت طليطلةٌ
ولا زَهَتْ ببني العباس بَغْدانُ
مررتُ بالمسجد المحزون أسأله:
هل في المصلّى أو المحرابِ مروانُ
تغيّر المسجدُ المحزون واختلفت
على المنابر أحرارٌ وعُبدانُ
فلا الأذان أذانٌ في منارته
إذا تعالى، ولا الآذان آذانُ
آمنتُ بالله واستثنيتُ جنته
دمشقُ رَوحٌ وجناتٌ وريحانُ

قــال الرفــاق وقــد هبّــتْ خمائلــها:

الأرض دارٌ لهـــا الفيحـــاءُ بـــستانُ

جـــرى وصـــفّق يلقانـــا بهـــا بـــردى

كمـــا تلقّـــاكَ دون الخُلـــدِ رضـــوانُ

دخلتـــــها وحواشـــــيها زُمُـــرُدةٌ

والـــشمس فـــوق لجـــين المـــاء عِقْيـــانُ

والحـــور في دُمَّـــرٍ أو حـــولَ هامتـــها

حـــورٌ كواشـــفُ عـــن ســـاقٍ، وولِـــدانُ

وربـــوة الـــواد في جلبـــابِ راقـــصةٍ

الـــساقُ كاســـيةٌ والنحـــرُ عريـــانُ

والطـــير تـــصدح مـــن خلـــف العيـــون بهـــا

وللعيـــونِ كمـــا للطـــيرِ ألحـــانُ

وأقبلـــتْ بالنبـــات الأرضُ مختلفـــاً

أفوافُـــهُ، فَهْـــوَ أصـــباغٌ وألـــوانُ

وقـــد صـــفا بـــردى للـــريح فـــابترَدَتْ

لـــدى ســـتورٍ حواشـــيهنَّ أفنـــانُ

ثـــم انثنـــتْ لم يـــزل عنـــها الـــبَلال ولا

جفَّـــت مـــن المـــاء أذيـــالٌ وأردانُ

خَلَفْـــتُ لبنـــانَ جنـــاتِ النعـــيم ومـــا

نبِّئْـــتُ أنَّ طريـــق الخُلْـــدِ لُبنـــانُ

حتـــى انحـــدرتُ إلى فيحـــاءَ وارفـــةٍ

فيهـــا النـــدى وبهـــا طَـــيٌ وشَـــيّبانُ

نزلـــت فيهـــا بفتيـــان جَحاجِحَـــةٍ

آبـــاؤهم في شـــباب الـــدهر غَـــسّانُ

بـيض الأسـرّة بـاقٍ فـيهمُ صَـيدٌ
مـن عبـد شمـسٍ وإن لَـم تبـقَ تيجـانُ

يـا فتيـةَ الـشام؛ شـكراً لا انقـضاءَ لـه
لـو أنَّ إحـسانكمُ يُجزيـه شُـكرانُ

مـا فـوقَ راحـاتكم يـومَ الـسماح يـدٌ
ولا كأوطـانكم في البـشَرِ أوطـانُ

خميلـةُ الله وَشّـتْها يـداه لكـم
فهـل لهـا قَـيِّمٌ مـنكم وجَنَّـانُ؟

شـيِّدوا لهـا الملـك وابنـوا رُكْـنَ دولتـها
فالملـك غَـرسٌ وتجديـدٌ وبنيـانُ

لـو يرجـع الـدهر مفقـوداً لـه خطـرٌ
لآب بالواحـد المبكـيِّ ثكـلانُ

المُلْـكُ أن تعملـوا مـا اسـطَعْتُمُ عمـلاً
وأن يـبين علـى الأعمـال إتقـانُ

المُلْـكُ أن تخـرج الأمـوالُ ناشـطةً
لمطلـبٍ فيـه إصـلاح وعمـرانُ

المُلْـكُ تحـت لـسانٍ حولـه أدبٌ
وتحـت عقـلٍ علـى جنبَيْـهِ عِرفـانُ

المُلْـكُ أن تتلاقَـوْا في هـوى وطـنٍ
تفرَّقـتْ فيـه أجنـاسٌ وأديـانُ



دمشـق (*)

خليل مطران

نَفْـــديك بِـــالأَرْوَاحِ وَالأَجْـــسَادِ
إِنْ كَـــان قـــوْلٌ فَاديـــاً لِـــبلاَدِ

يَـــا حُـــسْنَ حَاضِـــرةِ الْعُروبَـــة إِنَّهَـــا
فِـــي كُـــلِّ مَعْنـــى نُجْعَـــةُ المرْتَـــادِ

مَـــنْ لي بِوَصْـــفِ جَمَالِهَـــا، وَجَمَالُهَـــا
يُعْيِـــي بَيَـــانَ الْوَاصِـــفِ المجْـــوَادِ

بَـــرَدَى وَنَـــضْرُ غيَاضِـــه وَرِيَاضِـــه
نِعَـــمُ الْحَيَـــاةِ تَجَمَعَّـــتْ فِـــي وَادِ

مَـــاذَا يُـــرِيكُمْ مِـــنْ رَوَائِـــعِ حُـــسْنِهَا
تَـــصْوِيرُهَا بِبَرَاعَـــةٍ وَمِـــدَادِ

كَـمْ فِـي الحُـزونِ وَفِـي الـسُهولِ وَرَاءَهَـا
عَجَـــبٌ يَـــروعُ نَـــوَاظِرَ الأَشْـــهَادِ

(*) ديوان خليل مطران، دار العودة، بيروت، ١٩٨٤، ٣ أجزاء.

آيَـــاتُ تَـــدبِيجٍ يَـــتِمُ رُوَاؤُهَـــا

بِتَلَمُّـــعِ الأَنْهَـــارِ فِـــي الأَرْآدِ

وَيَكَـــادُ بَحْـــرُ الآلِ فِـــي أَطْرَافِهَـــا

يَـــشْجُو الـــسَّمَاعَ بِمَوْجِـــهِ الْهَـــدَّادِ

حَتَّـــى يَـــصِيرَ مَـــدَى مَحَاسِـــنِهَا إلى

سَـــفْحٍ يُطَوِّقُهَـــا بِطَـــوْقِ جِـــسَادِ

عَـــالٍ ذُرَاهُ يَلُـــوحُ فَـــوْقَ بَيَاضِـــهَا

جَمْـــرُ الغَمَـــائِمِ مِـــنْ خِـــلاَلِ رَمَـــادِ



دمشـــق

محمد البزم

أجـــلّ، جِلّـــق المجـــدِ مَـــدُ العـــلا

ومهـــــوى النفـــــوس وســـــلوانها

كــــساها الربيـــــع ســـــنا حلّـــــةٍ

يـــــروع النـــــواظرَ عنوانهـــــا

فنَيِّرُهـــــا مجتلـــــى الزاهـــــرات

ومجلـــــى الفراقـــــد كيوانهـــــا

غرانقـــــة المجـــــدِ صِـــــبوانها

ورائعـــــة الخلـــــد نـــــسوانها

فلـــــو حـــــلّ رضـــــوان أفياءهـــــا

ســـــلا جنـــــةَ الخلـــــد رضـــــوانها

لـــــئن ألِـــــف اللـــــهوَ سَـــــهوانُها

وأغـــــرق في الحـــــزن أســـــوانها

فقِـــــدماً أقامـــــت صـــــروحَ العَـــــلاءِ

وحلّـــــق في الجـــــوّ إيوانهـــــا

❖ ❖ ❖

دمشق(*)

محمد البزم

ريحانـــةُ الـــدنيا وظـــلُ نعيمِهـــا
مـــن قبـــلِ مولـــدِ يعـــربٍ وثمـــودِ

بَســـمَتْ بهـــا الـــدنيا إلى عـــشّاقِها
فتنـــاهبوا وجَناتِهـــا تخديـــدا

تلـــهو بأفئـــدة الظّبـــاءِ ظباؤهـــا
لَهْـــوَ الغرائـــرِ مـــا عـــرفنَ مكيـــدا

مـــن كـــلّ فاتنـــةِ المحـــاجرِ إن رنـــتْ
أو أومـــأتْ ذهـــبَ العميـــدُ عميـــدا

خَفِـــرَتْ ورنَّحهـــا الـــدلالُ وهزّهـــا
مـــرحُ الـــصّبا فتـــدافعتْ تهويـــدا

شَـــفَّتْ فعَـــصْفَرَها الأصـــيلُ وزادَهـــا
رأدُ الـــضُحى بـــضيائِه توريـــدا

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية - د. سامي الدهان - ط ٢ - ١٩٦٨ - دار الأنوار - بيروت، ص ٦٣.

تُـصبِي الحلـيمَ فـلا يـرى متحـوِّلاً
عنـها، وتُنـسي العابـدَ المعبـودا
وتكـاد تُـشرِبُها النفـوسُ لطافـةً
وتكـاد تحـدُثُ في الوجـودِ فقـودا
فكأنّهـا (عَـرَضٌ) تَمثَّـل (جـوهراً)
لـو رُحْـتَ تثبتُـهُ ملئْـتَ جُحـودا

❖ ❖ ❖

أخـتُ الخلـودِ ومـا الخلـودُ مفـارقٌ
بَـرَدَاكِ مـا عـشقَ الأنـيسُ خُلـودا
صـافٍ كـأخلاقِ الكـرامِ يحثُّـهُ
كـرمُ النِّجـارِ ليُـنْعِشَ المَفْـؤودا
مترقـرقٌ طـوعَ النـسيم، مسلـسلٌ
كخـواطرِ الـشُّعراءِ رُمّـنَ قـصيدا
متكـسِّرٌ كالمـاسِ تلبـسُهُ الـصِّبا
زرد الحبيـكِ ومـا شـف زَرُودا
يتخطّـف الأبـصارَ ثـم يردُّهـا
ريّانـةً لا تـسأم الترديـدا
قـد أبـصرتْ فيـه المجـرّةُ نفـسَها
غيـداء حاليـةَ المعـاطفِ رُودا

متهلّلُ الجنَباتِ بسّام الثّرى

يغريكَ بالحسنِ الجديد تليدا

ترنو إليه الشَّمسُ هافيةَ الحشى

حسّانةً عشقتْ فتىً أملودا

تنحطُ عن كبدِ السَّماءِ وعندها

أن لو تبوّأ من تراه وصيدا

قَطَعَ القرونَ القهقريةَ مُسرِعاً

واستشرفَ الآتي فجدَّ شديدا

حتى إذا بلغ الحدورَ وذللتْ

خطواتُهُ أخدودَهُ تعبيدا

رفدَتْهُ (فِيجتُهُ) العريقةُ بالندى

رفداً كما انبلجَ الصباحُ عَمودا

عجل الخطى صخباً على رضراضِهِ

صبباً ليدرك صنوه الموردا

وتفرّعت عنه بنوه صواعداً

في شامِخَيْنِ مُدانياً وبعيدا

كلٌ يلاوذُ ظلمه في ماردٍ

متعرّجٍ لا يأتلي تسديدا

نُهُرٌ كأنّ البيض فوق متونها

نضدَتْ وحولَ ضِفافهنَّ عمودا

شيخٌ تُسابقُهُ الخطى أبناؤه
في السهل جوداً والمخارمِ جودا
نفست على الشيخ السخاء فأسرعتْ
تنحو ضفافَ الغوطتين وخيدا

غوطتها:

لسعى لها الفردوس يطلب عندَها
مِنَحَ الجمالِ وشائجاً وعقودا
في كلِّ مشرفةٍ وكلِّ قرارةٍ
وحيٌ يهيجُ من البيان رقودا
يفد الربيعُ على الربيعِ ويلتقي
فيها النديدُ من الخميلِ نديدا
سافرْ بلحظِكَ حيث شئتَ فلن ترى
إلا عجائبَ توجبُ التوحيدا
أنّى التفتَّ فجدولٌ مترنِّمٌ
أو نائحٌ في أيكِهِ تغريدا
وسواكبٌ ومواكبٌ وكواكبٌ
تجري النحوسُ بجوِّهنَّ سُعودا
فإذا انحدرتَ فسابغاتٌ نُجِّدتْ
فيها النمارق والحلى تنجيدا

نفـــضتْ بهـــا الزرقـــاء غـــرَّ نجومِهـــا

نثـــراً تخـــال بـــه اللِّحـــاظَ نقـــودا

وحنـــا عليهـــا الليـــل ملتمـــساً بهـــا

زهـــرَ الفراقِـــدِ توأمـــاً ووحيـــدا

وإذا علـــوتَ فلجَّـــةٌ مـــن خـــضرةٍ

تجـــري بـــسابحةِ اللِّحـــاظِ مديـــدا

ضـــحك الغـــديرُ إلى الغـــديرِ وقهقهـــتْ

لهمـــا المتاعـــب مبـــدِئاً ومعيـــدا

عـــذراءَ تحـــسبها العـــشيّةَ مومـــساً

تغـــري بزينتـــها الفحـــولَ الـــصيّدا

غَنِجَـــتْ فدغـــدغها النـــسيمُ كمـــا انتحـــتْ

أيـــدي الخلاعـــةِ في الـــصدورِ نُهـــودا

وثنـــت معاطِفهـــا الغـــصونُ فكلُّهـــا

ثمـــلٌ يعـــانق مـــن أخيـــه ميـــودا

يتمـــازج الـــدمعانِ: دمـــع غمامِهـــا

بحبـــيس خـــضرتنا فتنـــضر عـــودا

وتكـــاد عاتيـــة الـــسحاب بجوِّهـــا

تهـــوي فتلـــصق بـــالجميم ســـجودا

فُـــتِنَ الـــصباحُ بِهـــا وغـــارَ مـــساؤها

فتباريـــا بـــرّاً بهـــا ورفـــودا

وافـــترَّ ثغـــرُ الليـــل عـــن أنـــدائها

حبيـــاً علـــى أزهارهـــا منـــضودا

وكأنّمـــا ركـــزت علـــى أثباجهـــا

تيجـــان أهـــل الخـــافقين بنـــودا

تـــتقلّص الجنّـــاتُ عـــن جنباتهـــا

خـــرفَ الرُجـــومِ فمـــا يُطِقْـــنَ وفـــودا

يـــسطو علـــى عبـــق العـــبير عبيرُهـــا

أرجـــاً ليـــنعض أنفُـــساً وكبـــودا

ويلـــوذ معتـــلُ الهـــواءِ بظلِّهـــا

يرجـــو الـــشفاء مكـــبّلاً مكـــدودا

يكبـــو وينـــهض في أديـــم رياضـــها

خَـــضِلَ المعـــاطفِ متعبـــاً مجهـــودا

يلقـــي إلى جـــدلِ الجـــداولِ مـــسمعاً

لقنـــا، وآخَـــرَ للّحـــونِ صُـــيودا

رقّـــت لـــه كبـــدُ الجـــواهرِ وارعـــوى

طـــاغي العواطِـــفِ فـــانتحَيْنَ وئيـــدا

وقـــضى علـــى الرمـــضاء في صـــحرائها

واقـــام في وجـــه الحـــرور ســـدودا

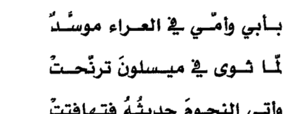


حيِّ الشآم(*)

إيليا أبو ماضي

حـــيِّ الـــشآم مهنّـــداً وكتابـــاً ... والغوطـــةَ الخـــضراءَ والمحرابـــا
ليـست قِبابـاً مــا رأيــتَ وإنّمــا ... عــزمٌ تمــرّد فاســتطال قِبابــا
فالثِمْ بروحك أرضها تلثِمْ عصوراً ... للعلــى ســكنت حــصًى وترابــا
واهبط على بردى يصفّق ضاحكاً ... يــستعطفُ التلَعــاتِ والأعــشابا
روحٌ أطــلّ مــن الــسماء عــشيةً ... فرأى الجمال هنا ـ فحنَّ، فذابا
وصــفا وشــفَّ فأوشــكت ضــفآتُهُ ... تنــسابُ مــن وجــدٍ بــه منــسابا
بـل أدمــعٌ حــورُ الجنــان ذَرَفْنَهــا ... شــوقاً، ولم تملــك لهــنَّ إيابــا
بردى ذكرتُك للعَطاشى فارتَوَوْا ... وبـني النُهـى فترشّـفوكَ رِضـابا
مرّت بكَ الأدهارُ لم تخبُثْ، ولم ... تفسد، وكم خبُثَ الزّمانُ وطابا

❖ ❖ ❖



بــأبي وأمّـــي في العــراء موسَّــدٌ ... بعــث الحيــاةَ مطامعــاً ورِغابــا
لمّــا ثــوى في ميــسلونَ ترنّحــتْ ... هـــضباتُها وتنفّـــست أطيابـــا
وأتـى النجـومَ حديثُـهُ فتهافتتْ ... لتقـــومَ حرّاســـاً لـــه حُجّابـــا
ما كان يوسفُ واحداً بل موكباً ... للنـور غلغل في الشموس فغابا

(*) ديوان إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر، تقديم: جبران خليل جبران، دار العودة، بيروت، ص ١٦٧ — ١٧٠.

هذا الذي اشتاق الكرى تحتَ الثرى ... كـي لا يـرى في جلّـقَ الأغرابـا
وإذا نبـا العـيشُ الكريمُ بماجدٍ ... حـرٍّ رأى المـوتَ الكـريمَ صـوابا
إنّـي لأزهـى بـالفتى وأحبُّـهُ ... يهـوى الحيـاةَ مـشقّةً وصِـعابا
ويضوع عطـراً كلّما شدّ الأسى ... بيديـه يعـركُ قلبـه الوثّابـا
ويـسيلُ مـاءً إن حـواهُ فَدْفَـدٌ ... وإذا طـواهُ الليـلُ شـعّ شـهابا
وإذا العواصفُ حجّبت وجه السما ... جـدلَ العواصـفَ للسما أسبابا
وإذا تقـوّض صـرحُ آمـالٍ بنـى ... أمـلاً جديـداً مـن رجـاءٍ خابـا
فـابنُ الكواكـبِ كـلُ أُفْـقٍ أُفْقُـهُ ... وابنُ الضراغمِ ليس يَعْدِمُ غابا

❖ ❖ ❖

عجبـاً لقـومي والعـدوُ ببـابهم ... كيف استطابوا اللهوَ والألعابا؟
وتخاذلـت أسيافهم عـن سحقهِ ... في حينِ كان النصرُ منهم قابا
تركوا الحسامَ إلى الكلام تعلُلاً ... يا سيفُ ليتَك ما وجدتَ قِرابا
دنياكَ، يا وطـن العروبةِ، غابةٌ ... حـشدتْ عليـك أراقمـاً وذئابـا
فالبس لها ماءَ الحديدِ مطارفاً ... واجعـل لـسانَك مخلبـاً أو نابـا
لا شـرعَ في الغابـاتِ إلا شـرعَها ... فـدعِ الكـلامَ شـكايةً وعتابـا
هـذي هـي الدنيا التي أحببتَها ... وسـقيتَ غـيركَ حبَّهـا أكوابـا
وضحكتَ معْ أحلامِها، وبكيتَ في ... آلامِهـا، وجرعـتَ مَعْهـا الـصّابا
وأضلُّ روحَك في السُرى وأضلَّها ... مـا خلتَـهُ مـاءً فكـان سـرابا
ونظرتَ، والأوصابُ تنهشُ قلبَها ... فرأيـتَ كـلَّ لـذاذةٍ أوصـابا
شاء الظلومُ خرابَها فإذا الولى ... لا يبـصرون سـوى نُهـاهُ خرابـا
دنيًـا تـألّق امـسُها في يومِهـا ... فاسـتجمَعَ الأنـسابَ والأحـسابا

وسرى سناءُ الوحي من آفاقها يغشى العصورَ ويغمرُ الأحقابا

الحقُّ ما رفعتْ به جدرانُها والخير ما زانت به الأبوابا

فاستنطقِ التاريخ: هل في سِفرهِ مجدٌ يضاهي مجدَها الخلاّبا؟

شابتْ حضاراتٌ، ودالَتْ وانطوتْ أممٌ، ومجدُ أميَّةٍ ما شابا

الأمسُ كان لها وإنَّ لها غداً تتلفّتُ الدنيا له إعجابا

غنّيتَ من قبلُ المحولةَ والعَرا أفلا تغنّي الروضةَ المِخصابا؟

عطفتْ لياليَها عليكَ بشاشةً فانسَ الليالي غربةً وعذابا

وانشرْ جناحَكَ، فالفضاءُ منوّرٌ واملأ كؤوسكَ قد وجدتَ شرابا

فلِشَدْوِ مثلِكَ كُوِّنتْ، ولِمثلِها خلق الإلهُ البلبلَ المِطرابا

❖ ❖ ❖

ليتَ الرياضَ تعيرني ألوانَها لأصوغَ منها للرئيس خطابا

وأقولَ: إنّي عاجزٌ عن شكرِهِ عَجْزَ الأناملِ أن تلُمَّ عُبابا

أشكو إلى نفسي العياءَ فتشتكي مثلي، وتصمُتُ لا تَحيرُ جوابا

فلقد رأيتُ البحر حينَ رأيتُهُ فوقفتُ مضطربَ الرُّؤى هيّابا

أعميدَ سوريّا وكاشفَ ضُرِّها خلقتْ يداكَ من الشيوخِ شبابا

وبلابلٌ كانت تئنُّ سجينةً أطلقتَها وأطرتَها أسرابا

يا صاحبَ الخلقِ المصفّى لو لم تكن بَشَراً لكنتَ سحابا

أملُ الشبيبةِ في يديكَ وديعةٌ فارفع لها الأخلاق والآدابا

فالجهلُ أنّى كان فهو عقوبةٌ والعلمُ أنّى كان كان ثوابا

يا ويحَ نفسي كم تطاردني النَّوى وتهدُّ منّي القلبَ والأعصابا

ودّعتُ خلف البحرِ أمسُ أحبّةً وغداً أودّع هاهنا الأحبابا

❖ ❖ ❖

الغوطة

خليل مردم بك

كم مـن أزاهـير الريـاض لنـاظرٍ … مـن مقلـة وَسْنى وخـدٍ ناضـرِ

ما ست أماليد الغصون بوشيها … معطـارةً وازّيّنـتْ بجـواهرِ

لله مـا صـنعتْ ومـا جـاءت بـه … في الغـوطتين يـد الربيـع البـاكرِ

بسطتْ وثير قطيفة فوق الثرى … خـضراء فيهـا كـلُّ لـونٍ زاهـرِ

مـن أحمـرٍ قـانٍ وأصـفرَ فـاقعٍ … أو أزرق زاهٍ وأبـيـضَ سـافرِ

وكست وحلّت سمحة أشجارُها … فجلـت عرائـسها بوشـي فـاخرِ

معقـودةُ الإكليـل زهـراءُ الحلـى … خفّاقـةُ الأقـراطِ ذاتُ أسـاورِ

أرْخت من الظلِّ الظليل غصونها … طـرراً وأذيـالاً وفـضل مـآزرِ

حيّـا جنـان الغـوطتين وجادهـا … سمح القِياد من السحاب الماطرِ

حُلُـمٌ مـن الإبـداع فيهـا ماثـلٌ … مـن دونـه يعيـا خيـال الـشاعرِ

تتنـاثر الأزهـار في أجوائهـا … مبثوثـة مثـل الفـراش الثـائرِ

فـنٌّ يرنّحـه النـسيم كأنـه … نـشوان مـن نَفَسٍ بـرودٍ عـاطرِ

عرفـت جبـاه الزهـر مـن قطـر … ملتفّـة الأعنـاق ذات تـأطرِ

كـالبكر يرشـح للحيـاء جبينـها … عرقـاً إذا ضُـمّت لـصدر الهاصِـرِ

وإذا الريـاح تأوّهـتْ سقط النـدى … مـن كـلِّ زاهـرةٍ كـدمع هـامرِ

وتـرى الجميم إذا الريـاح ناوحـت … متموجـاً مثـل الغـدير المـائرِ

وشــقائق النعمــان في قيعانهــا | تقطيــع أكبــادٍ وشــقّ مرائــرِ
والشمس من خلل الغصون على الثرى | كــدراهمٍ ألقــت بهــا يــد نــاثرِ
وتــرى الجــداول كالوذيلــة رَونقــاً | مــن مــستقيمٍ في المسير وجــائرِ
والأيــك في شــطآنها كنعــائمٍ | مــدّت بأعنــاق لهــا ومنــاقرِ
مــرآة أحلامــي ومرتــع صــبوتي | وهـوى فـؤادي بـل ومتعـة نـاظري
في كـلّ مغنـى مـن فـؤادي شـعبةٌ | وبكــلّ وادٍ هــائمٌ مــن خــاطري
وتكــاد أخــيلتي تطــلّ علــيّ فيّ | أرجائهــا مــن طــائفٍ أو زائــرِ
كـم جولـةٍ لي ثـمّ جـائرةِ الخطـا | بـين الخمائـل كـالفراش الحـائر
يقتــادني في كــلّ شــطرٍ جــاذب | مــن منظــرٍ نــضرٍ وحــسنٍ بــاهرِ



ضفاف بردى(*)

بشارة الخوري

سلْ عن قديمِ هوايَ هذا الوادي
هل كان يخفُقُ فيه غيرُ فؤادي

عهدَ الطفولةِ في الهوى كم ليلةٍ
مرّت لنا ذهبيّةِ الأبرادِ

إذ نحنُ أهونُ أن نحرّكَ ساكناً
في حاسدٍ أو غُلّةٌ في صادِ

تتضاحكُ الزُهْرُ النجومُ لأدمعي
في جيدِها، فإخالُها حسّادي

وأكاد أمتشقُ الغصونَ تشفّياً
لتهامُسِ الأوراق في الأعوادِ

غِرّانِ نمرحُ في الهوى وفُتُونِهِ
وعلى خدودِ الوردِ والأجيادِ

(*) الأخطل الصغير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٤٢.

ونُحِـــسُ بـــالبين المُـــشتِّ فــلا نــرى

غـــيرَ العِنـــاق علـــى النّـــوى مـــن زادِ

نتخـــاطفُ القُبَـــلَ الـــصِّباحَ كـــصِبْيةٍ

يتخــــــاطفون هديّــــــة الأعيــــــادِ

متــــــواثبَيْنِ كطـــــائرَيْنِ تـــــشابكا

وتــــضارب المنقـــــادُ بالمنقـــــادِ

❖ ❖ ❖

أنـــا مـــذْ أتيـــتُ النـــهرَ آخـــرَ ليلـــةٍ

كانـــــت لنـــــا، ذكّرتُـــــهُ إنـــــشادي

وســـألتُهُ عـــن ضـــفّتَيْه: ألم يـــزلْ

لي فيهمـــــا أُرجـــــوحتي ووِســـــادي

فبكـــى ليَ النـــهرُ الحنـــونُ توجّعـــاً

لّمـــا رأى هـــذا الـــشّحوبَ البـــادي

ورأى مكـــانَ الفاحِمـــاتِ بِمَفرِقـــي

تلـــكَ البقيّـــةَ مـــن جُـــذًى ورمـــادِ

❖ ❖ ❖

تلـــكَ العـــشية مـــا تُزايِـــلُ خـــاطري

في ســـفحِ دُمَّـــرَ والـــضّفافُ هـــوادي

شـــفّافةُ اللَّمَحـــاتِ نيّـــرةُ الـــرّؤى

ريّـــا الهـــوى أزليّـــةُ المـــيلادِ

أبـــداً يطـــوفُ خيالُهـــا بنـــواظري

فأحلُـــه بـــينَ الكـــرى وسُـــهادي

وأهُـــمُّ أرشُـــفُ مقلتَيْـــهِ وثغـــرَهُ

فيغـــوص في أُفُـــقٍ مـــن الأبعـــادِ

إيـــهٍ خيـــالَ المـــانعي طيـــبَ الكـــرى

أيُتـــاحُ لي رُجعـــى مـــعَ الـــرُوّادِ

لي في قـــرارِ الكـــأسِ بعـــدُ بقيّـــةٌ

سمحـــتْ بهـــا الآلامُ للعُـــوّادِ

حنّـــتْ لهـــا خُـــضْرُ الـــدوالي رقّـــةً

وبكـــى لهـــا جفـــن النـــسيم النـــادي

هـــيَ كُنْـــهُ إحـــساسي وروح قـــصائدي

ومطـــاف أحلامـــي وركـــنُ ودادي

للـــشعر منطلِـــقَ الجـــوانحِ هائمـــاً

بـــين الـــسواقي الخُـــضْرِ والأورادِ

متخيّـــراً منـــهنّ مـــا ابتكـــر الـــضحى

مـــن لؤلـــؤٍ غِـــبَّ الـــسحابِ الغـــادي

أنـــدى علـــى جفـــنٍ يـــساورُهُ الأســـى

وأخـــفُ مـــن مـــرح الهَـــزارِ الـــشادي

بـــردى؛ هـــل الخلـــدُ الـــذي وَعـــدوا بـــهِ

إلاكَ بــــــين شــــــوادنٍ وشــــــوادي

قـــالوا: تحـــبُ الـــشامَ؟ قلـــتُ: جـــوانحي

مقـــــصوصةٌ فيهـــــا، وقلـــــتُ: فـــــؤادي



دمشق

أنور العطار

دمشق ائتلاف الربيع الجديد

واشراقة الفجر إمّا ابتسَم

وريحانة نُدّيت بالهوى

وزنبقة روِّيت بالحكَم

على مهدها رائعات النبوغ

وفي ساحها قبسات الهمم

وفي تربها المسك مسك الخلود

وفي جوّها العطر عطر الشيم

تندّت مسارحها بالسماح

وماجت أباطحها بالكرم

وما هي إلا كتاب البقاء

وما هي إلا سجل العظم

مطـــاف الجـــلال، مــــراد الجمـــال

مـــلاذ العهـــود، مقـــرّ الـــذمم

ملاعــــــب حافلـــــــة بـــــالمنى

مراتـــــع طافحـــــــة بـــــالنِّعم

فمـــا يعـــرف القلـــب معنـــى الأســـى

ومـــا تـــدرك الـــروح طعـــم الألم

علـــى كـــل قلـــبٍ محـــبٍ ربـــاب

تغنّـــى وفي كـــل ثغـــرٍ نغـــم



نجوى (❖)

خير الدين الزركلي

العينُ بعد فراقِها الوَطَنا
لا ساكناً ألِفَتْ ولا سَكَنا

ريّانةٌ بالدمعِ أقْلَقَها
ألاّ تُحِسَّ كرًى ولا وَسَنا

كانت ترى في كلِّ سانحةٍ
حُسْناً، وباتت لا ترى حَسَنا

والقلبُ لولا أنَّةٌ صعدتْ
أنكرتُهُ وشككتُ فيه أنا

ليتَ الذين أحبُّهم علموا
وهم هنالك ما لقيتُ هنا

ما كنتُ أحسبُني مفارقَهم
حتى تفارقَ روحيَ البَدَنا

❖ ❖ ❖

(❖) ديوان الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – ط ٢ – ١٩٦٨ – دار الأنوار – بيروت، ص ١٧٩.

يـــا موطنـــــاً عبـــث الزمــــانُ بـــه

مَـــنْ ذا الـــذي أغــرى بـــكَ الزّمنـــا

قـــد كــان لي بـــكَ عـــن ســواكَ غِنًـــى

لا كــــان لي بـــسواكَ عنــــكَ غِنـــى

مـــــا كنـــــتَ إلا روضــــــةً أُنُفـــــاً

كرُمَـــــتْ وطابَـــــتْ مَغْرِســـــاً وجَنَـــى

عطفــــــوا عليــــــكَ فأوســـــعوكَ أذًى

وهُـــــمُ يـــــسمّون الأذى مِننـــــا

وحنَـــوْا عليــــكَ فجـــرّدوا قُـــضُبا

مـــــسنونةً وتقـــــدّموا بقَنـــــا

يـــا طـــائراً غنّـــى علـــى غُـــصُنٍ

و (النيـــلُ) يـــسقي ذلـــك الغُـــصُنا

زِدْنـــي وهِـــجْ مـــا شـــئتَ مـــن شَـــجَني

إن كنـــتَ مثلـــي تعـــرفُ الـــشَّجَنا

اذكَـــــرْتَني مـــــا لـــــستُ ناســـــيَهُ

ولـــربَّ ذكـــرى جـــدّدَتْ حُزُنـــا

اذكـــــرتني (بـــــردى) وواديَـــــهُ

والطـــيرَ آحـــاداً بـــه وثُنـــى

وأحبّـــةً أســـررتُ مـــن كلفـــي

وهـــوايَ فـــيهم لاعِجـــاً كَمِنـــا

كـــــــم ذا أغالبـــــــــه ويغلـــــــــبني

دمـــــــــع إذا كفكفتَـــــــــهُ هتَنـــــــــا

إنّ الغريـــــــــبَ معـــــــــذّبٌ أبـــــــــداً

إن حـــــــلَّ لم يـــــــنعمْ، وإن ظَعَنـــــــا

لـــــــو مثّلـــــــوا لي مـــــــوطني وثنـــــــاً

لهممـــــــتُ أعبُـــــــدُ ذلـــــــك الوثنـــــــا



بين الدم والنار(*)

خير الدين الزركلي

الأهـل أهلـي والـديارُ ديـاري ... وشـعارُ وادي الـنيربين شـعاري

مـا كـان مـن ألمٍ بجِلَّـق نـازلٍ ... وارى الزنـاد، فزنـده بـي واري

إنّ الـدمَ المُهْـراقَ في جنباتهـا ... لَـدمي، وإنّ شـفارَها لَـشِفاري

دمعـي لِمـا مُنِيَـتْ بـه جـارٍ هنا ... ودمي هنـاكَ على ثراها جاري

❖ ❖ ❖

يا وامضَ البرقِ اطمئنَّ وناجني ... إنْ كنـتَ مطّلعـاً علـى الأسـرارِ

مـاذا هنـاكَ؟ فإنَّ صـوتاً راعني ... والـصوتُ فيـه جفـوةُ الإذعـارِ

النـار مُحْدِقـةٌ بِجِلَّـق بعـد مـا ... تركت (حماةَ) علـى شفيرٍ هـارِ

تنسابُ في الأحياءِ مسرعةَ الخُطى ... تـأتي علـى الأطمـار والأعمـارِ

والقـوم منغمـسونَ في حَمَآتهـا ... فتكـاً بكـلِّ مـبرأٍ صـبّارِ

الطفلُ في يدِ أمِّه غرضُ الأذى ... يُرمـى ولـيس بخـائضٍ لغِمـارِ

والـشيخ متّكئـاً علـى عكّـازِهِ ... يُرمـى، ومـا للـشيخِ مـن أوزارِ

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية – د. سامي الدهان – ط ٢ – ١٩٦٨ – دار الأنوار – بيروت، ص ١٨٠.

صبرتْ دمشقُ على النّكالِ لياليا   حَرُمَ الرُقادُ بها على الأشفارِ
لَهَفي على المتخلِّفين برَحْبِها   كيف القرارُ، ولاتَ حينَ قرارِ
يترقّبون الموتَ في غَدَواتهم   وإذا نَجَوْا فالموتُ في الأسحارِ
لا يعلمون أفي سواد دُجُنّةٍ   هُمْ سُهّدٌ أم في بياضِ نهارِ
الوابلُ المدرارُ من حِمَمِ اللظى   متواصلٌ كالوابلِ المدرارِ
والظلمُ منطلقُ اليدينِ محكَّمٌ   يا ليت كلَّ الخطبِ خطبُ النارِ

❖ ❖ ❖

أمجالسَ السُمّارِ، ضاحكةٌ بهم   ضحكَ الهوى، ما حلَّ بالسُمّارِ؟
أمعاهدَ الأدبِ الطريف ثكلتُهُ   غضَّ الصِّبا، كتفتُّحِ الأزهارِ
أمَّ القصورِ نواعماً ربّاتُها   ما للقصورِ دوائرُ الآثارِ؟
أمَّ الجنانِ، الكاسياتِ رياضَها   حللُ السّنا، ما للرياضِ عواري؟
أمَّ الحياةِ، وللحياةِ نعيمُها   هل في ديارِكِ بعدُ من دَيّارِ؟
زهوُ الحضارةِ أنتِ مطلعُ شمسِهِ   أفتغتدينَ وأنتِ دارُ بَوارِ؟
ويحَ الحضارةِ؛ كيف يَمتَهِنُ اسمَها   متكالبون على الضِّعافِ، ضواري؟
همْ أوردوكِ وأصدروكِ على صدى   فشقيتِ في الإيرادِ والإصدارِ
هم أحرجوكِ فأخرجوكِ مهيجةً   فصرختِ فيهم صرخةَ الجبّارِ
طالت لياليكِ الثلاثُ وإنّما   في مثلهنَّ يلوح نهجُ السّاري
ما انهار قصرٌ في حماكِ ممرَّدٌ   إلاّ ليرفعَ فيكِ قصرَ فَخارِ
ما دمّروكِ همُ ولكنْ دمّروا   ما كان فيكِ لهم من (استعمارِ)
حملوا عليكِ مواثبينَ وما لهم   ثأرٌ، وثرتِ وأنتِ ربّةُ ثارِ
ما ينقمون عليكِ إلا أنّهم   شهدوكِ غيرَ مَقودةٍ لصَغارِ

فإذا المنازل وهي شامخةُ الذُرى ... منهار أطلالٍ على منهارِ
وإذا المدينة (تدمرٌ) أو (نينوى) ... أنقاضُ عمرانٍ ورسمُ دمارِ

❖ ❖ ❖

قم سائلِ الأجيالَ يا بن نسيجها ... واستوحِ غامضَ سرِّها المتواري
فلعلَّ عبرةَ مجتلي صفحاتها ... فيما محاه الدهرُ من أسطارِ
إنَّ الشعوبَ لتستفيقُ إذا انتشتْ ... والصحوُ غايةُ نشوةِ الإسكارِ
أرأيتِ كيف طغى الفِرَنْجُ وأوغروا ... صدرَ الأسنَّةِ أيّما إيغارِ
أرأيتِ كيف استهتروا بمطامعٍ ... فيها المصارعُ، أيَّما استهتارِ
الشرق بين قويِّهم وضعيفِهم ... متداولُ الأنجادِ والأغوارِ
وبنوه بين وعيدهمْ ووعودِهمْ ... شتّى المذاهبِ، شُرَّدُ الأفكارِ
لا تأمنَنَّ فأنتَ بين مكافحٍ ... منهم وبين مخادعٍ غرّارِ
وانظر إلى الآلافِ من بُسلائهم ... يغزوهمُ مئةٌ من (الثوّارِ)
من كلِّ مغوارٍ صليبٍ عودُهُ ... يقتادُ كلُّ مدجَّجٍ مغوارِ
الواثبين إذا يُقال: تأهّبوا ... والقاحمين إذا يُقال: بَدارِ
إن أنصفتْ أيام (ذي قارٌ) لنا ... سلفاً فنحن اليوم في (ذي قارِ)
طارتْ بألبابِ الفرِنْجةِ صيحةٌ ... في الشامِ فاندفعوا إلى الأسوارِ
واستهدفوا الأطفالَ في حُجُراتها ... والمُطْفِلاتِ وهنَّ في الأخدارِ
عمّوا بمضطربِ القذائفِ كلَّ ذي ... ضَعْفٍ، وخصُّوا كلَّ ذاتِ إزارِ
ستروا بضربِ الآمنين فرارَهم ... فاعجبْ لعارٍ ستَّروه بعارِ

❖ ❖ ❖

غضبتْ لسُوريَةَ الشهيدةِ أمّةٌ ... في مصْرَ تُطْفي غلّة الأمصارِ

ورعتْ لها ذممَ الوفاءِ فلم يضعْ | عهـدٌ تسلـسل في دمِ الإعـصارِ
للهِ والتـاريخِ والـدَّمِ واللُغَى | حـقٌ وللآمـالِ والأوطـارِ
تأبى الجماعةُ أن تهون لغاصبٍ | والفـرد موقـوفٌ علـى الأقـدارِ
وإذا العرى انفصمت تولّى أهلُها | ضـيمُ المُغـيرِ بخطبِـهِ الكُبّـارِ

❖ ❖ ❖

يا بن الكنانةِ ما الجراحُ دوامياً | في الشامِ إلا في طلـى الأحـرارِ
المـشترين ديـارَهم بـدمارِهم | وهـم يـرون بـه رِبـاحَ الـشاري
أنفـوا حيـاة الـشاءِ كـلَّ عـشيّةٍ | وضـحًى تعيث بهـا يـد الجـزّارِ
هـلاّ نظـرتَ إلى الـشآمِ فإنّهـا | ترنـو إليك بـشاخِصِ الأبـصارِ
نـاءت بحِمْـلِ نُكوبِهـا فتقلقلـتْ | موجـاً بأطفـالٍ هنـاكَ صِـغارِ
لـيس الجِـوارُ إذا عـدلتَ بمقنِـعٍ | يأبى الشقيقُ عليكَ حـقَّ الجـارِ

❖ ❖ ❖

أتيت جلّق(*)

أحمد صافي النجفي

أتيت جِلّقَ مجتازاً على عجلٍ
فأعجبتني حتى اخترتها وطنا

لا يبرح الحسن يوماً عن مرابعها
كأنما الحسن من قِدمٍ بها افتتنا

لا يرتضي الطَّرْفُ شُغلاً عن محاسنها
حتى تعادي فيها المقلةُ الوسنا

أيقنت أنّيَ من أهل الجنان، ففي
دمشق أسكن جَنّاتٍ تفيض هَنا

عجبت ممّن أتاها كيف يبرحها
فهل يرى في سواها عن دمشق غِنى

ما جنة الخلد إلا للذي سَكَنا
بها وما النار إلا للذي ظعنا

(*) سلسلة «شعراؤنا»، أحمد الصافي النجفي، دار صادر، بيروت.

يكـــاد ينـــسى غريـــبُ الـــدار موطنـــه

في ربعهـــا ويعـــافُ الأهـــلَ والـــسَّكنا

إنـــي امـــرؤ عربـــيٌّ والعـــلا نـــسبي

في أيِّ أرضٍ أرى عُرْبـــاً أرى وطنـــا



بردى(*)

جورج صيدح

حلمت أني قريب منك يا بردى
أبلّ قلبي كما بل الهشيمَ ندى

ونصب عيني من البلدان أبدعها
سبحان من أبدع السكان والبلدا

دمشق أعرفها بالقبّة ارتفعت
بالمرجة انبسطت بالشاطئ ابتردا

بالطيب يعبق في الوادي وأطيبه
في تربة الأرض غذّاها دم الشهدا

أمشي على الضفة الخضراء مؤتنساً
بالحور والسَّروِ والصفصاف منفردا

وأهبط المنحنى مستنطقاً فمه
صدى الليالي الخوالي لو يعيد صدى

تغوص في لجك الثرثار ذاكرتي
على الأغاني التي أسمَعَتني ولدا

(*) قصة الأدب المهجري، ص ٢٢٧.

مــن الهــدير علــى البطحــاء مبتــدراً

إلى الخريــر علــى الحــصباءِ متّئــدا

فــأنني وربيــع العمــر عــاودني

كــأنني لم أُضــعه بــالنّزوح ســدى

يــا مــورد الغوطــة الفيحــاء مــا بخلــت

بــالأطيبين ومــا ضــاقت بمــن وَرَدا

أهــواك في ثوبــك الفــضيّ زركــشه

بــدر الــدجى بــشعاع حولــه مــسدا

أهــواك في قلبــك الــشفاف لاح بــه

ظــل المــآذن والأشــجار مطّــردا

أهــواك كالليــث وثّابــاً ومقتحمــاً

كــالأفعوان تلــوى كــالغزال عــدا

أهــواك في يقظــتي، أهــواك في حلمــي

أهــواك مقتربــاً، أهــواك مبتعــدا

قــسمت كفــك حبــاً بــالقطين إلى

أصــابع ســبعة فاضــت عليــه جــدا

مــلأت منــك يــدي بعــد امــتلاء فمــي

ولــو قــدرتُ مــلأتُ الــصدر والكبــدا

حتــى أقــول لــدهر ســامني ظمــأ

في غــربتي لــن تراني ظامئــاً أبــدا



فردوس الأحلام

جورج صيدح

هشّت سماء الشرق للمغرب

ولوّحت بالشمس للموكب

بين الدراري مركب طائر

يشق باب الفجر في الغيهب

ما أليق القادم بالمحتفي

ما أعلق الفضيّ بالمُذهب

جلالةٌ تسعى إلى أختها

من أفقٍ رحبٍ إلى أرحب

حتى إذا الغوطة ضمّتهما

صفّقت الأركان في يثرب

من مبلغ بَيْرُونَ عن جلّقٍ

تحيّة الأطياب للطيب

وأنها قصرٌ له أخضرٌ

عن قصره الوردي لا يختبي

عيَّدتِ الشام لوفدٍ أتى

من أبعد الأقطار عن يعرب

لكنّــــــــه الأقـــــــرب مـــــــن قلبـــــــها
والقلـــــــب حنّـــــــانٌ إلى الأقـــــــرب
عـــــــدنا إلى فـــــــردوس أحلامنـــــــا
بـــــــذكريات الـــــــدار والملعـــــــب
تـــــــرى بـــــــأم العـــــــين أوضـــــــاعه
وتنقـــــــل الأخبـــــــار للغيهـــــــب
هـــــــذا عقيـــــــق الـــــــروض ذي فـــــــضّة
الأنهـــــــار هـــــــذا ذهـــــــبُ السبـــــــسب
هنـــــــا المراعـــــــي كـــــــم ســـــــرحنا بهـــــــا
أضـــــــحت بـــــــلا مرعـــــــى ولا ربـــــــرب
الـــــــدرب قـــــــدٌ الغـــــــاب في المنحنـــــــى
والقـــــــصر هـــــــدّ الكـــــــوخ في المـــــــضرب
والخـــــــصب في الـــــــوادي علـــــــى غـــــــير مـــــــا
نعهـــــــده في الـــــــزمن المجـــــــدب
العلـــــــم يغـــــــزوه ويحتلـــــــه
والعلـــــــم فـــــــتحٌ مـــــــن فتـــــــوح الـــــــنبي
معاقـــــــل الأجنـــــــاد منبثّـــــــة
تقـــــــوّم المعـــــــوجّ بالأحـــــــدب
وللـــــــصناعات رجالاتهـــــــا
إن غولبـــــــت في الفـــــــنّ لم تغلـــــــب

❖ ❖ ❖

الجلاء(*)

شفيق جبري

حلمٌ على جنبات الشام أم عيدُ؟
لا الهمّ همٌ ولا التسهيد تسهيدُ

يا يوم أيّارَ والنيران ملهبةٌ
على دمشق تلظّيها جلاميدُ

ذكرى سجونك ما تنفك ماثلةً
لم يمحُ من هولها عيدٌ وتعييدُ

هذي ضحاياك في الأيام آبدةٌ
وللضحايا على الأيام تأبيدُ

الطفل في المهد لم تهدأ مضاجعه
مروّعٌ من لهيب النار مكمودُ

تلفّه أمّه ما بين أضلعها
وموقد النار مطرابٌ وغرّيدُ

فقل لصحبك والأمواج تحملهم:
هل الحضارة تذليل وتعبيد؟

❖ ❖ ❖

(❖) الشعراء الأعلام في سورية، د. سامي الدهان، ط٢، ١٩٦٨م.

دمشق

أحمد رامي

يا روضةً في ربوع الشام يانعةً
ترنَّم الطيرُ فيها وهْوَ نشوانُ
وللغدير على ترجيعه نَغَمٌ
من الخرير له ضَرْبٌ وأوزانُ
تمايل الغصنُ فيها وانثنى طرباً
لما شَجتْهُ تَرانيمٌ وألحانُ
هذه ثِمارُكَ طابت في مغارِسها
وذاك غصنُك ينْدى وهو فَيْنانُ
أبتْ على كلِّ جانٍ أن يَمُدَّ يداً
إلى جَنَاها وتحتَ الظِّلِّ يقظانُ
يحمي حِماها ويفديها بمهجته
ويقطع الليلَ فيها وهو سهرانُ
يا روضةً بَرَدَى في وَشْيِ بُرْدَتِه
يختالُ بين رباها وَهْوَ جَذْلانُ

علـــى حواشـــيكِ أمجـــادٌ مخلـــدةٌ

لهـــا مـــن الـــذكر تـــاريخٌ وديـــوانُ

غنّـــى الزمـــان بهـــا تِيْهـــاً وردَّدهـــا

مِـــنْ جانـــب النيـــل أحبـــابٌ وخِـــلاّنُ

رأَوْا مـــن الـــشام - يحيـــا الـــشامُ - رابطـــةً

لهـــا علـــى العهـــد أنـــصارٌ وأعـــوانُ

طـــاروا إلينـــا خِفاقـــاً يـــوم محنتنـــا

وأرخـــصوا الـــروحَ لا ذلّـــوا ولا هـــانوا

وألّفـــتْ بيننـــا حريّـــةٌ كتبـــتْ

صـــحيفةٌ بـــدمِ الأحـــرار تـــزدانُ



يا سامر الحيِّ(*)

بدوي الجبل

يــا ســـامرَ الحـــيِّ هـــل تعنيــكَ شـــكوانا
رقَّ الحديـــــدُ ومـــــا رقُّـــــوا لبلوانــــــا

خــــلِّ العِتـــابَ دموعـــاً لا غَنـــاءَ بهـــا
وعاتِـــــبِ القـــــومَ أشـــــلاءً ونيرانــــــا

آمنـــتُ بالحِقـــدِ يُـــذكي مـــن عزائمِنـــا
وأبعَـــــــدَ اللهُ إشـــــــفاقاً وتَحنانــــــــا

ويــلَ الــشُعوبِ الــتي لم تَــسْقِ مــن دمِهــا
ثاراتِهــــا الحُمْـــــرَ أحقـــاداً وأضـــغانا

ثـــاراتُ يعــــرُبَ ظمـــأى في مراقِــدِها
تجاوزتهـــا سُـــقاةُ الحـــيِّ نـــسيانا

لا خالــدُ الفــتحِ يغــزو الــرُّوم منتــصراً
ولا المثنّـــى علـــى رايـــات شَـــيْبانا

(*) ديوان بدوي الجبل - دار العودة - بيروت - ط ١ - ١٩٧٨ - ص ٨٠.

أمّا الشآمُ فلم تُبْقِ الخُطُوبُ بها

رَوْحاً أحبَّ من النُعمى ورَيْحانا

ألمَّ والليلُ قد أرخى ذوائبَهُ

طيفٌ من الشامِ حيّانا فأحيانا

فمن رأى بِنتَ مروانَ انحنتْ تعباً

من السَّلاسلِ يرحمْ بنتَ مروانا

أحنو على جرحها الدامي وأمسحُهُ

عِطراً تطيب به الدنيا وإيمانا

أزكى من الطِّيبِ ريحاناً وغاليةً

ما سالَ من دمِ قتلانا وجرحانا

هلْ في الشآمِ وهل في القدسِ والدةٌ

لا تشتكي الثُكْلَ إعوالاً وإرنانا

تكلَ القبورُ فلو أنّي أُلِمُ بها

لم تعدُ عيناي أحباباً وإخوانا

يُعطي الشهيدُ فلا واللهِ ما شهدتْ

عيني كإحسانِهِ في القومِ إحسانا

وغايةُ الجودِ أن يَسقي الثرى دمَهُ

عندَ الكِفاحِ ويلقى اللهَ ظمآنا

والحـقُ والـسيف مـن طبـعٍ ومـن نـسبٍ

كلاهمـــا يتلقّـــى الخَطْـــب عُريانـــا

❖ ❖ ❖

مـــا للـــسفينة لم ترفـــع مراســـيَها

ألمْ تهيّـــئ لهـــا الأقـــدارُ رُبّانـــا

شُـــقّي العواصِـــفَ والظّلمـــاءَ جاريـــةً

باسْـــمِ الجزيـــرةِ مَجرانـــا ومُرســـانا

ضُـمّي الأعاريـبَ مـن بَـدوٍ ومـن حَـضَرٍ

إنّـــي لألمـــحُ خلـــفَ الغـــيمِ طوفانـــا

يـــا مَـــنْ يـــدلُ علينـــا في كتائبِـــهِ

نَظـــارِ تَطّلَـــعٌ علـــى الـــدنيا ســـرايانا



الفارس(*)

بدوي الجبل

أترعي الكأس أدمعاً ورحيقاً

حقُ بعض الهموم ألا نُفيقا

سلّم الجمر لي، وعاش بقلبي

أريَحِيَّ اللهيبِ عذباً أنيقا

يا شآمي: يا قبلة الله في الدّنيا

ويا راحها المصفّى العتيقا

ما أدرتُ الكؤوس إلا لتروي

كبدي من هواكَ لا لتذوقا

مزّقيها تغمرك نوراً وعطراً

لا تَمَلّي العطورَ والتمزيقا

لَمْلَمَ الفجرُ ذكرياتي فما لَمّ

لَمَ إلا اقاحَها وشقيها

(*) ديوان الشعراء الأعلام في سورية - د. سامي الدهان - ط ٢ - ١٩٦٨ - دار الأنوار - بيروت، ص ٢٩١.

كبريائي فوق النجوم، ولولاها

لَما كنتُ بالنجومِ خليقا

جُلُّ شِعري - أقيه بالروح من

كلِّ هوانٍ - والشعرُ كالعِرضِ يوقى

ما شكوتُ العدوَّ كِبراً ولكنّي

شكوتُ المبرَّأ الموثوقا

وأخاً لي سقيتُهُ الودّ صِرفاً

فسقاني من وُدِّهِ الممزوقا

طبعيَ الحبُ والحنانُ فما أعـ

ـرِفُ للمجدِ غيرَ حبّي طريقا

وكنوزي - وليس تحرسها الجنُّ -

تنادي المحرومَ والمرزوقا

لم يضق بالعدوِّ حِلمي وغفرا

ني وأفدي بمقلتَيَّ الصَّديقا

كيف يسمو الإنسان إلا رحيماً

باختلاف الهوى، وإلا شفيقا؟

❖ ❖ ❖

لي قبور كنزتُ فيها شبابي

وصبوحي على المُنى والغَبوقا

يـــا قبـــور اللِّـــدات: كـــل شـــقيقٍ

حاضـــن في الثـــرى أخـــاه الـــشقيقا

وســـعتْ هـــذه القبـــور همـــومي

كيـــف تـــشكو وهْـــيَ الـــسماواتُ ضـــيقا

كيـــف لا تَنْبُـــتُ الريـــاحين والـــشَّوْ

قُ وقلـــبي علـــى ثراهـــا أريقـــا

مقلـــتي يـــستحمّ في دمعهـــا الطّيْـــ

ـــفُ وتحنـــو، فـــلا يمـــوتُ غريقـــا

ينـــزل الجـــرح مـــن فـــؤادي علـــى الحبْـــ

ـــبِ ويلقـــى التـــدليل والتـــشويقا

(شـــامة) الفـــتح نـــام (فارســـك) النَّجْـــ

ـــدُ وحـــقُّ الوفـــاءِ أن يـــستفيقا

ســـبقته أحبابُـــه للمنايـــا

فرحمـــت المجلِّـــيَ المـــسبوقا

ونعـــم، عـــدتُ للعقيـــق، ولكـــن

فـــارق الأهـــلُ واللِّـــداتُ العقيقـــا

أنـــا كـــالطير، الـــف صـــحراءَ لفَّتْـــ

ـــهُ مهـــيضَ الجنـــاحِ، شِـــلْواً، مَزيقـــا

مـــات أيكـــي ومـــات وردي فـــلا تعـــ

ـــجيل أعنـــى بـــه ولا تعويقـــا

غـــريتي، قـــد ســـئمت غربـــة روحـــي

ومللـــــتُ التغريـــــبَ والتـــــشريقا

غـــربتي، غـــربتي، علـــى النـــأيِ والقـــر

بِ أرانـــــي إلى دجاهـــــا مَـــــسوقا

حـــدتُ عنـــها غربـــاً وشـــرقاً، وطوّفـــ

ـتُ فمـــا اجتـــزتُ ســـهمها المرشـــوقا

(فـــارس) المجـــد لم تزغـــرد عـــذارى الـــ

مجـــدِ إلا انتخـــى وكـــان الـــسبّوقا

عـــالم يـــسكب العذوبـــة في العلـــ

ـــمِ فتـــستاف عنـــبراً مـــسحوقا

ولـــه الطرفـــة الملحيـــة تغـــني

عـــن نقـــاشٍ، وتُـــسكِتُ المِنْطيقـــا

وبيـــان تخالـــه الوشـــي والأطـــ

يـــاب شـــتّى واللؤلـــؤ المنـــسوقا

فيـــه عمـــق البحـــار تزخـــر بالـــدرّ

وفيـــــه متـــــارف الموســـــيقا

وضـــمير نـــديان، يـــسرف في الحـــ

سّ فيجـــزي حتـــى الخفـــيَّ الـــدقيقا



يـــا لنـــسر تقحّـــم الـــشمس حتـــى

مـــلّ عـــزَّ الـــشموس والتحليقـــا

حـــق عبـــئين، مـــن ســـنينَ ومجـــدٍ

أن يكفّـــا مـــن شـــأوِهِ ويعوقـــا

يهـــرم النـــسر فـــالطريق عِثـــارٌ

ذكريـــات الـــصبا زحمـــنَ الطريقـــا

ذكريـــاتٌ هـــنّ الكنـــوز الغـــوالي

صـــان فيهـــا الـــشبابَ حلـــواً رشـــيقا

عـــبّ منـــها النـــسر الحبـــيس فردّتـــ

ـــهُ لـــدنيا الـــشموس حـــراً طليقـــا

غمـــرت قلبـــه حنينـــاً وأشـــواقاً

ويمنـــاه لؤلـــؤاً وعقيقـــا

عـــالم الـــذكريات نمنمـــه الخـــا

لـــق حتـــى يـــدلّل المخلوقـــا

هـــو مـــن أريحيـــة الله مـــا شـــئنا

رحيقـــاً صـــفواً ومـــسكاً فتيقـــا

❖ ❖ ❖

حـــال بـــيني وبـــين لقيـــاك دهـــر

ســـامني عبئـــه فكنـــتُ المطيقـــا

أنـــــزلتني علــــى (فـــــروق) رزايـــــاه

فحيّـــا عطـــــر الـــــسماء (فروقــــا)

ضـــاق لبنــــان بــــي وكــــان رحيبــــا

وتنَـــــزّى حقــــداً وكــــان رفيقــــا

قـــد حمـــدتُ الجلّـــى بلبنــــان لَمّــــا

كـــــشفت لي الـــــيقين والتلفيقـــــا

قـــبر (عبـــد الحميـــد) أرعـــى ذمامـــاً

و(ريـــاضٌ) في القـــبر أرعـــى حقوقــــا

مــــا للبنــــان رحـــت أســـقيه حبّـــي

وســــــقاني مــــــرارةً وعقوقــــــا

أنــــا أغليتــــه بلؤلـــؤ أشـــعاري

وطوقـــــتُ جيــــــدَه تطويقـــــا

وزرعــــتُ النجـــوم في ليــــل لبنــــا

ن فـــرفّ الـــدجى نـــدياً وريقـــا

ربّ سمــــراء مــــن شـــذا الأرز كـــالأرْ

زِ قوامــــاً مهفهفــــاً ممـــــشوقا

وجمــــالاً غـــالى بزينتـــه اللـــ

ـــهُ فثنّـــى وثلّـــث التـــدقيقا

وعفافـــاً ذاد الـــــشفاه وحلّـــــى

للعيــــون الـــسُّلاف والتحـــديقا

جُـــنّ قلـــب الـــدجّى بأهـــدابها حبّـــ

بـــاً فـــأغنى جفنـــاً وكحّـــلَ موقـــا

إنّ بـــــيني وبـــــين لبنـــــان عهـــــداً

كهواهـــــا معطّـــــراً مرموقـــــا

❖ ❖ ❖

يـــا قبـــوراً في الـــشامِ ، ربّ قبـــورٍ

أنْزَلَتْهـــا النـــوى مكانـــاً ســـحيقا

هائمـــاتٍ كـــالنور طـــارت صـــباباتي

إليهـــا فمـــا اســـتطعنَ اللُحوقـــا

غرّبتنـــا العُلـــى قبـــوراً وأحيـــا

ءً وعاثـــت بـــشملنا تفريقـــا

تـــسمع الـــريح حـــسن تُـــصغي حنينـــاً

مـــن فـــؤادي علـــى الثـــرى وشـــهيقا

مـــا لقـــومي غـــال الحمـــامُ فريقـــاً

منـــهم، والجحـــود غـــال فريقـــا

ظلـــم الكنـــز أهلـــه فتمنّـــى

أن يكـــون المبـــدّدَ المـــسروقا

أظمـــأتني وجـــوههم حـــين غابـــت

فـــأدرت الـــذكرى ســـلافاً وريقـــا

عهـــدها بـــالخلوق عهـــدٌ قـــديمٌ

ألفـــت عـــزّة المجلّـــي الخلوقـــا

يـــا لـــداتِ الفتـــوح نـــسقى منايانـــا

ويـــــسقيننا الهـــــوى ترنيقـــــا

بيننـــا صـــحبة الإبـــاء، وعـــزٌ

أمـــــويٌ يُطـــــاول العَيُوقـــــا

وكفـــاحٌ كعاصـــفٍ ضـــجّ في الـــدنيا

رعـــــوداً هـــــدّارةً وبروقـــــا

❖ ❖ ❖

والمـــــروءات كـــــالغرائز في الرّيـــــ

ـــفِ مِـــلاحٌ لا تعـــرف التّزويقـــا

وعقـــود مـــن الـــسنين نظمناهـــا

ســـــجوناً وكبريـــــاءً وضـــــيقا

نحـــنُ كنـــا الزلـــزال، نعـــصف بالـــشّرْ

قِ نـــرجُ الـــشعوب حتـــى تُفيقـــا

فابتـــدعنا مـــن الـــرّؤى واقـــعَ المجـــ

ـــدِ ومـــن غَمـــرة الظـــلام البريقـــا

نقحـــمُ الغـــامض الأشـــمّ مـــن الحـــقّ

ونـــأبى المُمهّـــد المطروقـــا

❖ ❖ ❖

نحـــن عطـــر الـــسجون، عطـــرُ المنايـــا

نحمــــلُ الجـــرحَ مطمئنّــــاً عميقــــا

نحـــن كالـــشمسِ، جرحُهـــا وهـــجُ الـــدُّ

نيـــا غروبـــاً منــــوَّراً وشَــــروقا

مـــا درى الـــشرقُ قبلنـــا ســـكرة الحـــقّ

ولا خمرَهــــــا ولا الرّاووقـــــــا

نحـــن عـــشقٌ للغـــوطتين، بـــراه الــــ

ـــله حتـــى يؤلّـــه المعـــشوقا

نحـــن في الكـــأس نغمـــة، نحـــن في النّـــ

ـــغمة صـــهباء صُـــفِّقت تـــصفيقا

خمـــرة النـــور، خمـــرة العـــزّ والإيمـــا

ن طابـــتْ بـــرداً وطابـــتْ حريقـــا

يعـــرف الحـــق قيمـــة الجـــوهر الحـــرّ

رِ ويغلـــي جديــــده العتيقـــا

يُعـــذر الحـــرُ، حـــين لا يخطـــئ العـــز

م وإن كـــان أخطـــأ التوفيقـــا

❖ ❖ ❖

يـــا رئيـــسي، مـــن أربعـــين، زحمناهـــا

إبـــاءً مـــرّاً وبأســـاً حنيقـــا

انــتَ نــشأتين علـــى الــصبر والعـــزّ

زِ كمـــا ترهـــف الحـــسامَ الـــذليق

نـــدوةُ الـــشام والـــوزارة ضـــمّانا

عريقـــاً يـــصفي هـــواه عريقـــا

وهمـــــوم كـــــأنّهنّ الأمـــــاني

جمـــــالاً ونـــــشوةً وسُـــــموقا

مترفـــات ترعرعـــت في فؤاديـــ

ـــنا طابـــت شمـــائلاً وعروقـــا

يـــرد الخطـــبُ منـــك قلبـــاً ســـرياً

وبيانـــاً عفّـــاً ووجهـــاً طليقـــا

مـــن يعـــلّ النـــديّ بعـــد بالـــشهـ

ـــدِ المـــصفّى، ومـــن يـــسدُ الفتوقـــا

خُطَـــبٌ بالنـــديّ تهـــدر كالعـــا

صـــف والريـــق لا يبـــلُ الحلوقـــا

انكرتـــكَ الحيـــاة بالـــشيب والـــسقـ

ـــمِ فهيّـــا للفـــاركِ التطليقـــا

حمـــلَ المـــوت مـــن لـــداتك شـــوقاً

يـــستحثُ الخطـــى وعتبـــاً رقيقـــا

وكتابـــاً مـــن الهـــوى نمّقـــوه

فأجـــادوا البيـــان والتنميقـــا

وطيوفـــــاً تبرّجــــت لكــــى جفنيــــ

ـــكَ حتـــى يرضـــى وحتـــى تليقـــا

❖ ❖ ❖

غيَّـــب القـــبرُ منـــك شمّـــاء مجـــدٍ

وعـــــرة تـــــزحم النجـــــوم سموقـــــا

يتلقّـــأك (هاشـــم) في ربـــى عـــدنٍ

ويـــــستقبل المـــــشوقُ المـــــشوقا

حـــي عنّـــي (ســـعداً) وقبّـــل محيّـــا

كالـــضحى بـــاهر الـــسنّى مرموقـــا

واســـق (قـــدري) و(عـــادلا) و(جمـــيلاً)

مـــن حنـــيني طيـــبَ الهـــوى والرحيقـــا

و(أبـــا أســـعد) ســـقته دمـــوعي

و (ســـليمان) و(النـــديم) الـــصدوقا

واشـــك حزنـــي (لمظهـــر) و(نجيـــب)

راع دهــــــر أخاكمـــــا فأفيقـــــا

لي حقـــوقٌ علـــى القبـــور الغـــوالي

ويـــوفّى قـــبر الكـــريم الحقوقـــا



في دمشق(*)

الشاعر القروي

حتّامَ تحسبُها أضغاثَ أحلامِ
سبّحْ لربِّكَ وانحرْ، أنتَ في الشّامِ

لم يأذنِ اللهُ يا بوقَ العروبةِ أنْ
تقضي الحياةَ غريباً بين أعجامِ

وكنتَ في أبعدِ الأمصارِ أقربَ منْ
أهلي إليَّ وأخوالي وأعمامي

أضناكَ طُول السُرى والسّيرِ يا ولدي
فاطرحْ رداءَكَ، وامسحْ جرحَكَ الدامي

هذي عيوني وجنّاتي وفاكهتي
فاملأ يديْكَ وبرِّدْ قلبَكَ الظّامي

وارتعْ بقلبيَ واسبحْ كالشعاعةِ في
عيني ونَمْ بين أهدابي وأحلامي



(*) ديوان الشاعر القروي – ط ٦ – دمشق ١٩٨٣م – ص٩٢.

يــا آل جِلَّــقَ يــا أزكــى الأصـــولِ إذا

بـــاهى الـــسُراةُ بأصـــلابٍ وأرحـــامِ

حـسبي بكــم شــرفاً أنّــي علــى ضِـعتي

كــــأنَّ ملـــوكَ الأرض خُـــــدّامي

أعيـــتْ بيـــاني وشـــكراني عـــوارفُكُم

يــا أكــرمَ النــاس، بــالَغْتُمْ بــإكرامي

كــم لائــمٍ منّــي في حــبِّكم سَــفَهاً

فبـــدَّل القُـــرْبُ حُـــسّاداً بلـــوّامِ

لبّيـــتُ بـــالفرح المجنـــونِ دعـــوتَكمْ

وإخـــوتي ورفـــاقي دمعُهُـــمْ هـــامي

❖ ❖ ❖

يــا يــومَ جــدّدَ في الخِــضْرُ آيتَــهُ

لَمّـــا أطلّـــتْ علـــى بـــيروتَ أعلامـــي

والــوحشُ منفغــرُ الــشّدقينِ يرصُــدُني

والبغـــيُ أســـطولُهُ خلفـــي وقُـــدّامي

اعــدى علــيَّ بظهــر الفُلْــكِ شِــرْذِمَةٌ

ممّـــنْ تـــضرّوا علـــى فتـــكٍ وإجـــرامِ

لم يُجـدِهِمْ طــولُ إغرائــي بــصُحبتِهِمْ

فحــاولوا حــين عِيــلَ الــصَّبرُ إرغــامي

همُــوا بأخـــذي فثــارت كــلُّ مُحْــصَنَةٍ

وكــلُّ حُــرٍّ عــريضِ الــصدرِ همّهــامِ

وبِتُّ ليلي وعينُ الله تحرُسُني
حتى وضعتُ بأغلى التُّرْبِ أقدامي

في اللاذقيّةِ في شطٍّ يمتُّ على
(بريارتي) بجمالٍ جلّ عن ذامِ

في أرض قوميَ في الدنيا التي احتكرتْ
أقطارُها كلَّ آمالي وآلامي

ما الأرزُ والشامُ إلا توأما وطنٍ
وأمّةٍ بالنجومِ الزُهْرِ متآمِ

❖ ❖ ❖

وسرتُ في موكب الأحرارِ مرتقياً
إلى (صِلِنْفَةَ) من سامٍ إلى سامِ

ترى الصفّا بين خضراءِ الرُبى انتشرتْ
على بساطٍ من الإستبرقِ النامي

هشّتْ عليها الغصونُ الوارفاتُ كما
هشَّ الرُعاةُ على قُطعانِ أغنامِ

والحورُ يخفِضُ للسُمّاقِ هامتَهُ
كما تواضَعَ جبّارٌ لأقزامِ

والريحُ تهمسُ والأفنانُ في قلقٍ
كأنّها عاشقٌ يُصغي لنمّامِ

حتّى بلغنا بها الفيحاءَ فارتعبتْ
قريرةَ العينِ مثلي رغم إسقامي

حيثُ العروبةُ شدّتْ إصْرَ وَحدَتِها

وأسلم الأمرَ ضِرْغامٌ لضِرْغامِ

❖ ❖ ❖

أنا العروبةُ لي في كلِّ مملكةٍ

إنجيلُ حبٍّ ولي قرآنُ إنعامِ

سلْ عهدَ شامي وبغدادي وأندلسي

عن عمقِ فلسفتي ، عن عدلِ احكامي

ما اخْضَوْضَرَ الشرقُ إلا تحتَ أقدامي

وازْهَوْهَرَ الغربُ إلا تحتَ أعلامي

تمشي البطولةُ والسّحرُ الحلالُ معي

فالأرضُ ملعبُ آسادٍ وآرامِ

نقشتُ في الشمسِ طُغْرائي وما بَرِحَتْ

مرسومةً في جبينِ البدرِ أختامي

ما غيّرتْ نكباتُ الدهرِ من شيمي

وإن طوتْ ثنايا التُربِ آطامي

حطّمتُ أشرسَ ضارٍ في جزيرتِهِ

ما ابتلَّ نعلي ولا دُنِّستَ أقدامي

من يبكِ عهدَ المُوامى والدُمى فأنا

والحمدُ لله قد حَطَّمْتُ أصنامي

شغلتُ قلبي بحبِّ المصطفى وغدتْ

عروبتي مَثَلي الأعلى وإسلامي

آمنـــتُ بالنـــصرِ إيمـــانَ الـــذي لَمَـــسَتْ

كفّـــاهُ، لا خـــارصٍ بالغيـــبِ رجّـــامِ

تـــأبى العروبـــةُ أن ننـــسى الـــصديقَ لكـــي

نُرضـــي العـــدوَّ، ويـــأبى دينُهـــا الـــسامي

قمـــيصُ بغـــدادَ لم تـــبرح مُـــزرَّرةً

بعُـــروةٍ تتحـــدّى ألـــفَ مِفْـــصامِ

مـــا أقـــربَ الوحـــدةَ الكـــبرى مبخّـــرةً

أحـــلامَ كـــلِّ شـــعوبيٍّ وقـــسّامِ

❖ ❖❖

ســـيّانِ بعـــد التلاقـــي يـــا بـــلاديَ لـــو

خُلّـــدتُ أو حكَـــمَ الطـــاغي بإعـــدامي

أمـــا رجعـــتُ؟ ألَـــمْ انـــشُقْ هـــواكِ؟ ألَـــمْ

ألـــثِمْ ثَـــراكِ؟ ألَـــمْ أُسْـــمِعْكِ أنغـــامي؟

أُحـــسُّ بالراحـــةِ الكـــبرى كـــأنِّيَ قـــد

طرحـــتُ في البحـــرِ عنّـــي كـــلَّ آثـــامي



يا شام منك ابتدأنا

شفيق الكمالي

يـــا شـــام طـــال النـــوى حتّـــى تهـــيّمني

كـــونٌ مـــن الـــشوق ضـــارٍ في الحـــشا

حملـــتُ غـــيم حـــنين مـــسكرٍ بـــدمي

حتّـــى إذا مـــرّ فـــوق الغـــوطتّين همـــى

تـــشابكت في الفـــضاء الرحـــب خافقـــةً

راياتنـــا وهـــدى معراجُنـــا الأممـــا

نحـــن الألى حـــرّر الإنـــسانَ هـــديهمُ

ومـــال في كـــلّ أرضٍ هادمـــاً صـــنما

بعنفـــوان الهـــدى هـــزّت جحافلُنـــا

صـــرحَ الطواغيـــت في الـــشرقين فانهـــدما

واليـــوم نجمـــان في آفاقنـــا التمعـــا

كـــشُعبتي ذي الفقـــار انـــسلّ منتقمـــا

يـا شـفرتي سـيفِ هـذي الأمـة انتفِـضا

فأنتمـا جـذوة العـزِّ الـذي انـصرما

يـا أحمـدَ المجـد يـا أعلـى بيارقـه

يـا حـافظ العهـد يـا سـوراً حمـى قيمـا

نهـضتَ نـسراً طـوويلاتٍ قوادمُـهُ

ازاح عنـها بُغَـاثَ الطَّـيرِ والرُّخَمـا

أعظِـمٌ بليـثين لم يُخـدرهما أجـمٌ

تـسابقا لعظـيم المجـد فاتّأمـا

يـا حـاملي مـشعلِ التـاريخ غاظهمـا

أنَّ الظـلام طغـى في الأرض فاقتحمـا

لله عزُكمـا، لله عزمكمـا

لله وحـده مـسرى أمـتي بكمـا

المجـد يـا جِلّـقَ الأمجـاد مـا فطمـا

مـا دام صـدرُك ثَـراً يُرضـع الـشمما

والكبريـاء بغـير الـشام مـا غُرسـتْ

والـشعر إلا لوجـه الـشام مـا نُظمـا

أسـتغفر الله في بغـدادَ دوحتـه

يـا تـوءمين شمـوخ العـزة اقتـسما

يـا جلـق المجـد لـو وفّـى الكـلام هـوى

إذاً جعلـتُ وريـدَيَّ خـافقي كَلِمـا

للحامل الهمّ لا تثنيه نازلة

من النوازل عن حقٍّ لنا هضما

لجيشك الحرّ بل جيشي أصولُ به

للشعب شعبي لأزكى العالمين حمى

يا زهو كلٍّ شموس العُرْبِ ما سطعت

وغيظ كلٍّ إباء العرب ما كظما

عجيبة أنت بدء الدهر مولدها

ولم تزل غضّة والدهر قد هرما



دمشق

عدنان مردم بك

بلد كأحلام الشباب جِنانه
وأديمه التاريخ للمتأمّلِ
درج القضاء وشبّ في أحضانه
ورمى بيمناه بأفْوَقِ منْصَلِ
خلع الزمان عليه ثوبَ مهابةٍ
فغدا يصول من الوقار بجحفلِ
مجدٌ كأنّ الصبح يكمن دونه
يفترّ عن متألّق متهللِ
عَرْفُ النبوة ضاع في طياته
من كلّ ركنٍ كالحطيم محجّلِ
والوحي يومئ خلف كلّ ثنيّة
بيدٍ ويرمز بالإشارة من علِ
وترى من المعراج فوقَ أديمه
عظة البُراق وطيف أكرم مرسلِ

ويــــضيء غـــــابر أمــــسه حـــسبٌ لــــه

كالــــشمس تكـــشفُ كـــلّ داجٍ أليـــلِ

وأكـــــاد أبـــصر بالخيــــال حقيقـــةً

وأرى أميّـــــــة في الزمــــــــان الأوّلِ

في كـــــل زاويــــة كتـــــابُ حـــضارةٍ

ينبيـــك عــــن مــــاضٍ وعــــن مــستقبَلِ

ورســــوم ملـــكٍ مـــن أميـــة أعربــتْ

عــــن غـــــابرٍ لمــسائلٍ بمفـــصَّلِ

نطقـــت ومــــا فغـــرتْ فمــــا لمحــدثٍ

بلـــسانِ حـــالٍ لم يـــدعْ لتقـــوّلِ

كـــم في الرســـوم علـــى عميـــق ســكونها

مـــن ســـاجعٍ حلـــو الحـــديث مرتّـــلِ

وهياكــــل فـــوقَ الثـــرى منثـــورة

كـــشتيت أوراق الخريـــف المحـــلِ

لم يُبْـــقِ مـــن أعلامهــــا كـــرُّ البلـــى

إلا بقايـــــا هيكــــلٍ كالهيكــــلِ

هتــــك الزمــــان حجابهــــا فتكــــشّفتْ

أســـرارها عـــن كـــلّ مـــاضٍ أمثـــلِ

وإخــــال فجـــرَ شــــبابَها وســـناءها

لـــيلاً مــــن الحـسرات لـــيس بمنجلِ

أورتْ وأورتْ في الـــــصدور حـــــزازةً

وشــــفت وأغـــرت لوعـــةً لا تنجلـــي

وأوابدٌ في الفقـــر مـــن حُجُـــبِ البلـــى
برقـــت لعـــين الزائـــرين بمـــشعلِ
تلقـــى بهـــا عظـــة الجـــدود وســـيرةً
للغـــابرين عـــن الزمـــان الأول
راحـــت تحلّـــق بالـــسماء قبابهـــا
دون الـــسحائب في جنـــاح الأجـــدلِ
شـــاخ الزمـــان حيالهـــا وشـــبابُها
أبـــداً علـــى الأيـــام لم يتحـــوّل
طالعـــت فيهـــا مـــسهباً عـــن دابـــرٍ
ولمـــست فيهـــا مجمـــلاً عـــن مقبـــلِ
وقـــرأت في صـــفحاتها مـــا ســـطّرتْ
مـــروان مـــن مجـــدٍ بحـــدٌ الفيـــصل
ورأيـــت تـــاريخ الجـــدود إزاءهـــا
يختـــال مـــن صـــلف الـــصبا بتـــدلّل
تلـــك الرســـوم ومـــا أجـــلّ ســـطورها
للقـــارئ المـــتمعّن المتعقّـــلِ
كانـــت مـــن التـــاريخ أروع صـــفحة
ورســـالة الماضـــي إلى المـــستقبلِ



دمشـــق

عبد الله يوركي حلاق

نـــاداكَ صـــوتٌ مـــن دمـــشقَ محبّـــبُ
فـــاسمع فـــدقّات القلـــوب ترحّـــبُ

وانـــزل علـــى بلـــدٍ يعطّـــر ذكـــره
فخـــرٌ بأنفـــاس الخلـــود مطيّـــبُ

فتَحـــتْ لـــك الفيحـــاء قلـــب مولّـــهٍ
حُـــرٍ، وقلـــب الحـــرّ لا يتقلّـــبُ

فانهـــل مـــن الحـــب المـــصفّى إنّهـــا
للحـــبّ نبـــع خيّـــرٌ لا ينـــضبُ

رفّـــت علـــى العـــاني حمـــائمُ عطفهـــا
فكأنّهـــــا أمٌ تحـــــنُ وتحـــــدبُ

ألـــقُ العروبـــة في وجـــوه شـــبابها
يزهـــو فيختـــال الزمـــان ويطـــرَبُ

مـــن كـــل أروعَ لا تلـــين قناتـــه
لانَ الحديـــد لـــه ودان المطلـــب

الـــشام في كـــفّ العروبـــة صـــارمٌ
يلقـــى جمـــوع الظـــالمين فيـــضربُ



دمشق يا جبهة المجد(*)

محمد مهدي الجواهري

شَمَمْتُ تُربَكِ لا زُلفى ولا مَلَقا
وسرت قصدَكِ لا خِبّاً ولا مَذَقا

وما وجدتُ إلى لقياكِ منعطفاً
إلا إليك، ولا ألفيتُ مفترقاً

كنتِ الطريقَ إلى هاوٍ تنازعه
نفسٌ تَسدُ عليه دونَها الطرقا

وكان قلبي إلى رؤياكِ باصرتي
حتى اتّهمتُ عليك العَين والحَدقا

شَمَمْتُ تُرْبَكِ أستاف الصِّبا مرحاً
والشملَ مؤتلفاً، والعقدَ مؤتلقا

وسرتُ قصدكِ لا كالمشتهي بَلَداً
لكن كمن يتشهّى وَجْهَ من عَشِقا

(*) الأعمال الكاملة، الجواهري، وزارة الثقافة، دمشق، المجلد الرابع.

قــالوا: دمــشقُ وبغــدادٌ، فقلــت: همــا

فجــرٌ علــى الغــدِ مــن أمــسَيْهما انبثقــا

مــا تعجبــون؟ أمــن مَهْــدَيْنِ قــد جُمعــا

أم تــوأمين علــى عهــديهما اتّفقــا؟

أم صــامدَيْنِ يَرُبّــان المــصير معــاً

حبّــاً ويقتــسمان الأمــن والفرقــا

يهدهــدانِ لِــساناً واحــداً ودَمــاً

صِــنواً، ومعتقــداً حُــرّاً ومنطلقــا

أقــسمتُ بالأمــة استوصــى بهــا قــدرٌ

خــيراً ولاءَمَ منــها الخَلــقَ والخُلُقــا

مــن قــال أن لــيس مــن معنًــى للفظتــها

بــلا دمــشقَ وبغــدادٍ، فقــد صــدقا

فــلا رعــى الله يومــاً دسَّ بينــهما

وقيعــةً، ورعــى يومَيْهِمــا وَوَقــى

يــا جِلَّــقَ الــشامِ والأعــوامُ تَجمــع لي

ســبعاً وســبعين مــا التأمــا ولا افترقــا

مــا كــان لي منــهما يومــانِ عــشتُهما

إلا وبالــسُؤْرِ مــن كأســيهما شَــرِقا

يعــاودان نِفــاراً كلّمــا اصــطحبا

وينــسيان هــوًى كانــا قــد اغْتَبَقــا

ورُحــتُ أطفــو علــى موجيهمــا قَلِقــاً

أكــاد أحــسد مــرءاً فيهمــا غَرِقــا

يــا لَلــشباب يغــار الحلــمِ مــن شِــرَةٍ

بــه وتحــسُدُ فيــه الحِنكــة النَّزَقــا

وللبــساطة مــا أغلــى كنائزهــا

قــارونُ يُــرخِصُ فيهــا التِّبْــرَ والوَرِقــا

تلُــمُّ كأســي ومــن أهــوى، وخــاطرتي

ومــا تجــيشُ وبيــتَ الــشِّعْرِ والورَقــا

أيــام نعكــفُ بالحــسنى علــى سَــمَرٍ

نــساقط اللغــوَ فيــه كيفمــا اتّفقــا

إذْ مِــسكةُ الرَّبَــواتِ الخُــضْرِ توسِــعُنا

بِمــا تفتَّــق مــن أنــسامها عَبَقــا

إذْ تُــسَقِطُ الهامــةُ الإصــباحَ يُرَقِّــصُنا

وقاسَــيُونُ علينــا ينــشر الــشَّفَقا

نرعــى الأصــيلَ لــداجي الليــلِ يُــسَلِّمُنا

ومــن كُــوَى خَفِــراتٍ نرقُــبُ الغَــسَقا

ومــن كُــوَى خَفِــراتٍ تــستجدُ رؤى

نــشوانةٌ عــن رؤًى مملولــةٌ نَــسَقا

آهٍ علــى الحلــو في مــرٍّ نغُــصُ بــه

تقطّــرا عــسلاً في الــسمِّ واصــطفقا

يــا جِلَّــقَ الــشامِ إنّــا خلقــةٌ عَجَــبٌ

لم يــدرِ مــا ســرَّها إلاّ الــذي خلقــا

إنــا لنختَنُــقُ في الأضــلاعِ غُرْبَتَنــا

وإن تنَزَّلــتْ علــى أحــداقنا حُرَقــا

معــذَّبون وجنّــاتُ النعــيمِ بنــا

وعاطــشونَ ونُمــري الجونــةَ الغَــدَقا

وزاحفــون بأجــسامٍ نوابــضها

تــستامُ ذروة عِلِّــيينَ مرتفقــا

نُغــني الحيــاة ونــستغني كــأنَّ لنــا

رأدَ الــضحى غلّــةً والــصبحَ والفَلَقــا

يــا جِلَّــقَ الــشام كــم مــن مطمــحٍ خلسٍ

للمــرء في غفلــةٍ مــن دهــره ســرقا

وآخِــرٍ ســلٍّ مــن أنيــاب ذي لَبَــدٍ

وآخِــرٍ تحــت أقــدامٍ لــه سُــحقا

دامٍ صــراع أخــي شَــجْوٍ ومــا خَلَقــا

مــن الهمــوم تُعنّيــه ومــا اختلقــا

يــسعى إلى مطمــحٍ حانــت ولادتــه

في حــين يحمــل شِــلْواً مطمحــاً شــنقا

حــرّانَ حــيرانَ أقــوى في مــصامدة

علــى الــسكوت وخــيرٌ منــه إن نطقــا

كـــذاك كـــلُّ الـــذين اســـتُودعوا مُـــثُلاً

كـــذاك كـــلُّ الـــذين اســـتُرهِنوا غَلَقـــا

كـــذاك كـــان ومـــا ينفـــكُّ ذو كلـــفٍ

بمـــن تعبّـــد في الـــدنيا أو انعتقـــا

دمـــشق عـــشتُك ريعانـــاً وخافقـــةً

ولِمَّـــة والعيـــونَ الـــسودَ والأرقـــا

وهـــا أنـــا ويـــدي جِلـــدٌ وســـالفتي

ثلـــجٌ ووجهـــي عظـــمٌ كـــاد أو عُرِقـــا

وأنـــت لم تبرحـــي في الـــنفس عالقـــةً

دمـــي ولحمـــيَ والأنفـــاسَ والرَّمقـــا

تمـــوِّجين ظـــلال الـــذكريات هـــوًى

وتـــسعدين الأســـى والهـــمَّ والقلقـــا

فخـــراً دمـــشقُ تقاسمنـــا مراهقـــةً

واليـــوم نقتـــسم الآلام والرَّهَقـــا

دمـشق صـبراً علـى البلـوى فكـم صُـهرتْ

سـبائك الـذهب الغـالي فمـا احترقـا

علـى المـدى وعـروق الطُّهْـرِ يرفـدها

نـسغ الحيـاة بـديلاً عـن دم هرقـا

وعنـد أعـوادك الخـضراء بهجتـها

كالـسِّنديانة مهمـا اسّـاقطتْ ورقـا

وغـــابٌ خفّـــان زئـــارٌ بـــه أســـدٌ

غــضبان يــدفع عــن أشــباله حَنِقــا

يــا حــافظَ العهــد يــا طــلاّع ألويــةٍ

تناهبــت حلبــاتِ العــزِّ مــستَبَقَا

يــا رابــط الجــأش يــا ثبتــاً بمــستَعِرٍ

تآخيــا في شــبوب منــه والتــصقا

تزلزلــت تحتــه أرضٌ فمــا صُــعِقا

وازّخرفــتْ حولــه دنيــا فمــا انزلقــا

ألقـــى بزقّومهـــا المـــوبى لمـــرتخصٍ

وعـــاف للمتـــهاوي وِرْدَهـــا الطرقـــا

يــا حاضــن الفكــر خلاقــاً كــأنَّ بــه

مــن نــسج زهــرِ الربــى موشــيّة أنقــا

لــك القــوافي ومــا وشَّــت مطارفهــا

تُهــدى ومــا اســتنَّ مهــديها ومــا اعتنقــا

مــن العــراقِ، مــن الأرض الــتي ائتلقــت

والــشام ألفــاً فمــا مــلاّ ولا افترقــا

يــا جبهــة المجــد القــتْ كريــةٌ ظُلَــلاً

مــن الــشجوب عليهــا زدنهــا ألقــا

مــرّت يــدٌ بــرّة فــوق العــروق بهــا

تمــيط عنــها الأســى والجهــدَ والعرقــا

كمثــــل أرضـــك تمتـــدُ الـــسماء بهـــا

مهمومـــة ترقـــب الفجـــر الـــذي انطلقـــا

أســـيانةٌ كـــم تلقّـــت بـــين أذرعهـــا

نجمـــاً هـــوى إثـــرَ نجـــمٍ صـــاعدٍ خفقـــا

مـــصارع تـــستقي الفـــادين تربتـــها

في كـــل شـــبرٍ مـــشى فـــادٍ بهـــا ورقـــا

يـــا بنـــت أم البلايـــا عانقـــت نـــسباً

أغلـــى وأكـــرم في الأنـــساب معتنقـــا

راحـــت تمـــزّق كـــل الهـــازئين بهـــا

وحولـــك اسّـــاقطت مهـــزوزةً مُزَقـــا

كنـــتِ الكَفُـــوءَ لهـــا إذ كنـــتِ معتركـــاً

لِـــسُوحِهَا فرقـــاً جـــرارةً فِرقـــا

تيمـــور خـــفّ وهولاكـــو وقـــد سَـــحَقا

كـــل الـــدُنى وعلـــى أســـوارك انـــسحقا

مـــا كنـــتِ أعتـــى ولا اقـــوى ســـوى دُفَـــعٍ

مـــن الرجـــولات كانـــت عنـــدها لُعَقـــا

هنـــا جـــوارك ذو زمزامـــةٍ لجـــبٍ

امـــس استـــشاط فـــصبّت نـــارُهُ صـــعقا

علـــى اليهـــود وعـــاد اليـــوم مـــن خَـــوَرٍ

يمـــدّ طوعـــاً إلى جـــزّاره العُنُقـــا

حـــبُّ الحيـــاة تغـــشّاه فكـــان لـــه

صَـــداقُها الـــذلّ والإســـفافَ والخَرَقـــا

تخـــالف الحكـــم فـــرداً لا ضـــميرَ لـــه

إذا اســـــتدارَ ولا نـــــاهٍ إذا مَرَقـــــا

ومجمعـــين تواصَـــوا بينـــهم شَـــرَعاً

علـــى الحفـــاظ وســـاوَوْا أمـــرهم طَبَقـــا

دمـشقُ كـم في حنايـا الـصدر مـن غُـصَصٍ

لـــو لم نَـــدِفها بِمُـــرّ الـــصبر لاختنقـــا

صُـــبّتْ ثلاثـــونَ لم تَـــدُرِ الـــصَّباحَ بهـــا

ســـودُ الليـــالي ولَـــمْ تكـــشف بهـــا أُفُقـــا

هنّـــا عليهـــا فـــشدّتنا بسلـــسلةٍ

مـــن الكـــوارث لم تـــستكمل الحَلَقـــا

جاعـــت لقحـــطٍ مُفـــاداةٍ بهـــا وَعـــدتْ

واســـتنجدتْ صـــاعها والمئـــزَرَ الخَلِقـــا

ونحـــن نُطعمهـــا حلـــو البيـــان رؤىً

والفخـــر متّـــشحاً والوعـــدَ مرتزقـــا

شَـــمَمْتُ تُرْبَـــكِ لا زُلفـــى ولا مَلَقـــا

وســـرت قـــصدكِ لا خِبّـــاً ولا مَـــذِقا



القصيدة الدمشقية(*)

نزار قباني

هـذي دمـشق وهـذي الكـأسُ والـراحُ
إنـي أحـبُ وبعـض الحـبِ ذبّـاحُ

أنـا الدمـشقي لـو شـرّحتُمُ جـسدي
لـسال منـه عناقيـدٌ وتفـاح

ولـو فتحـتم شـراييني بمُـديتكم
سمعـتمُ في دمـي أصـواتَ مـن راحـوا

زراعـة القلـب تـشفي بعـض مَـن عـشقوا
ومـا لقلـبي - إذا أحببـتُ - جـرّاح

ألا تـزال بخـير دارُ فاطمـة
فالنهـد مـستنفرٌ والكحـل صـدّاح

إنَّ النبيـذ هنـا نـارٌ معطـرة
فهـل عيـون نـساء الـشام، أقـداح؟

(*) مختارات من شعر نزار قباني، اختيار وتقديم العماد مصطفى طلاس، دار طلاس، دمشق، ط١، ٢٠٠٠، ص٦٤٨.

مـــآذن الـــشام تبكـــي إذ تعـــانقني

وللمـــــآذن كالأشـــــجارِ أرواح

لليـــاسمين حقـــوق ـفي منازلنـــا

وقطـــة البيـــت تغفـــو حيـــث ترتـــاح

طاحونـــة الـــبن جـــزء مـــن طفولتنـــا

فكيـــف ننـــسى؟ وعطـــر الهـــالِ فـــواحُ

هـــذا مكـــان (أبـــي المعتـــزّ) منتظـــر

ووجـــه (فـــائزة) حلـــوٌ ولمّـــاحُ

هنـــا جـــذوري، هنـــا قلـــبي، هنـــا لغـــتي

فكيـــف أوضـــح؟ هـــل ـفي العـــشق إيـــضاح؟

كـــم مـــن دمـــشقية ، باعـــت أســـاورها

حتـــى أغازلهـــا. والـــشعر مفتـــاحُ

أتيـــت يـــا شـــجر الصفـــصاف معتـــذراً

فهـــل تـــسامح هيفـــاءٌ ووضـــاح؟

خمـــسون عامـــاً وأجزائـــي مبعثـــرة

فـــوق المحـــيط، ومـــا ـفي الأفـــق ، مـــصباح

تقـــاذفتني بحـــارٌ لا ضـــفاف لهـــا

وطـــاردتني شـــياطينٌ وأشـــباح

أقاتـــل القـــبح ـفي شـــعري ، وـفي أدبـــي

حتـــى يفـــتّح نـــوّار. وأقـــداح

مـــا للعروبـــــة تبـــدو مثـــــل أرملــــــة

ألــــيس في كتـــب التــــاريخ أفــــراح؟

والـــشعر. مـــاذا ســيبقى مـــن أصـــالته؟

إذا تــــــولاه نــــــصّاب . ومـــــــداح؟

وكيـــف نكتـــب والأقفـــال في فمنـــا؟

وكـــل ثانيــــة يأتيــــك ســــفاح؟

حملــت شــعري علــى ظهــري. فــأتعبني

مــاذا مــن الــشعر يبقــى حــين يرتــاح؟



من مفكرة عاشق دمشقي(*)

نزار قباني

فرشـــتُ فـــوقَ ثـــراكِ الطـــاهرِ الهُـــدُبا

فيـــا دمـــشقُ لـــماذا نبـــدأ العتبـــا؟

حبيـــبتي أنـــتِ فاســـتلقي كأغنيـــةٍ

علـــى ذراعـــي، ولا تـــستوضحي الـــسَّببا

أنـــتِ النـــساءُ جميعـــاً. مـــا مـــنِ امـــرأةٍ

أحببـــتُ بعـــدك إلا خِلتُهـــا كـــذبا

يـــا شـــامُ، إنَّ جراحـــي لا ضـــفافَ لهـــا

فمـــسِّحي عـــن جبـــيني الحـــزنَ والتّعبـــا

وأرجعـــيني إلى أســـوارِ مدرســـتي

وأرجعـــي الحـــبرَ والطبـــشورَ والكُتُبـــا

تلـــكَ الزواريـــبُ كـــم كنـــزٍ طمـــرتُ بهـــا

وكـــم تركـــتُ عليهـــا ذكريـــاتِ صـــبا

(*) الأعمال السياسية الكاملة، الجزء الثالث، منشورات نزار قباني - بيروت، ص٤١٧.

وكم رسمتُ على جدرانِها صوراً

وكم كسرتُ على أدراجها لُعبا

أتيتُ من رحمِ الأحزانِ يا وطني

أقبّلُ الأرضَ والأبوابَ والشُهبا

حبّي هنا. وحبيباتي وُلدنَ هنا

فمن يعيدُ ليَ العمرَ الذي ذهبا؟

أنا قبيلةُ عشّاقٍ بكاملها

ومن دموعي سقيتُ البحرَ والسّحُبا

فكلُ صفصافةٍ حَوّلتُها امرأةً

وكلُ مئذنةٍ رصّعتُها ذهبا

هذي البساتينُ كانت بينَ أمتعتي

لما ارتحلتُ عن الفيحاءِ مغتربا

فلا قميصَ من القمصانِ ألبسهُ

إلا وجدتُ على خيطانهِ عنبا

كم مبحرٍ. وهمومُ البرِّ تسكنهُ

وهاربٍ من قضاءِ الحبِّ ما هربا

يا شامُ، أينَ هما عينا معاويةٍ

وأينَ من زَحَموا بالمنكبِ الشُهبا

فلا خيولُ بني حمدانَ راقصةٌ

زُهواً. ولا المتنبّي مالئٌ حَلبا

وقـــبرُ خالـــدَ في حمـــصٍ نلامـــسهُ

فيرجـــفُ القـــبرُ مـــن زوّارهِ غـــضبا

يـــا رُبَّ حـــيٍّ رخـــامُ القـــبرِ مـــسكنهُ

ورُبَّ ميّـــتٍ علـــى أقدامـــهِ انتـــصبا

يـــا ابـــنَ الوليـــدِ ألا ســـيفٌ تـــؤجّرهُ؟

فكـــلُّ أســـيافنا قـــد أصـــبحت خَـــشَبا

دمـــشقُ، يـــا كنـــزَ أحلامـــي ومـــروحتي

أشـــكو العروبـــةَ أم أشـــكو لـــكِ العربـــا؟

أدمـــتْ ســـياطُ حزيـــرانٍ ظهـــورهُمُ

فأدمنوهـــا. وباســـوا كـــفَّ مـــن ضَـــرَبا

وطـــالعوا كتـــبَ التـــاريخِ واقتنعـــوا

متـــى البنـــادقُ كانـــت تـــسكنُ الكتبـــا؟

ســـقَوْا فلـــسطينَ أحلامـــاً ملوّنـــةً

وأطعموهـــا ســـخيفَ القـــولِ والخطبـــا

عاشـوا علـى هـامشِ الأحـداثِ، مـا انتفـضوا

لـــلأرض منهوبـــةً، والعِـــرضِ مغتـــصَبا

وخلّفـــوا القـــدسَ فـــوقَ الوحـــلِ عاريـــةً

تبـــيحُ عـــزّةَ نهـــديها لمـــن رغِبـــا

هـــل مـــن فلـــسطينَ مكتـــوبٌ يطمئـــنني

عمّـــن كتبـــتُ إليـــهِ وهـــوَ مـــا كتبـــا؟

وعـــن بـــساتينَ ليمـــونٍ، وعـــن حلـــمٍ

يـــزدادُ عنّـــي ابتعـــاداً. كلّمـــا اقتربـــا

أيـــا فلـــسطينُ مـــن يهـــديكِ زنبقـــةً؟

ومـــن يعيـــدُ لـــكِ البيـــتَ الـــذي خَرِبـــا؟

شـــردتِ فـــوقَ رصـــيفِ الـــدمعِ باحثـــةً

عـــن الحنـــانِ، ولكـــن مـــا وجـــدتِ أبـــا

تلفّـــــتي تجـــــدينا في مَباذلنـــــا

مـــن يعبـــدُ الجـــنسَ، أو مـــن يعبـــدُ الـــذّهبا

فواحـــدٌ أعمـــتِ النُعمـــى بـــصيرتَهُ

فللخنـــى والغـــواني كـــلُ مـــا كَـــسَبا

وواحـــدٌ ببحـــارِ الـــنّفْطِ مغتـــسلٌ

قـــد ضـــاقَ بـــالخيشِ ثوبـــاً فارتـــدى القَـــصَبا

وواحـــدٌ نرجـــسيٌ في ســـريرتهِ

وواحـــدٌ مـــن دمِ الأحـــرارِ قـــد شـــربا

إن كـــانَ مـــن ذبحـــوا التـــاريخَ هـــم نـــسبي

علـــى العـــصورِ فـــإنّي أرفـــضُ النـــسبا

يـــا شـــامُ، يـــا شـــامُ، مـــا في جعـــبتي طـــربٌ

أســـتغفرُ الـــشعرَ أن يـــستجديَ الطربـــا

مـــاذا ســـأقرأُ مـــن شـــعري ومـــن أدبـــي؟

حـــوافرُ الخيـــلِ داســـت عنـــدنا الأدبـــا

وحاصـــــرتنا .. وآذتنـــــا .. فــــلا قلـــمٌ

قـــالَ الحقيقـــةَ إلا اغتيـــلَ أو صُـــلبا

يـــا مـــن يعاتـــبُ مـــذبوحاً علـــى دمـــهِ

ونـــزفِ شـــريانه، مـــا أســـهلَ العتبـــا

مـــن جـــرّبَ الكـــيَّ لا ينـــسى مواجعـــهُ

ومـــن رأى الـــسُمَّ لا يـــشقى كمـــن شَـــرِبا

حبـــلُ الفجيعـــةِ ملتـــفٌ علـــى عنقـــي

مـــن ذا يعاتـــبُ مـــشنوقاً إذا اضـــطربا؟

الـــشعرُ لـــيسَ حمامـــاتٍ نطيّرهـــا

نحـــوَ الـــسماءِ، ولا نايـــاً. وريـــحَ صَـــبا

لكنّـــهُ غـــضبٌ طالـــت أظـــافرهُ

مـــا أجـــبنَ الـــشعرَ إن لم يركـــبِ الغـــضبا



ترصيعٌ بالذهب على سيف دمشقي(*)

نزار قباني

أتراهـــــا تحـــــبني ميـــــسون؟

أم توهمــــــت والنـــــساء ظنـــــون؟

كـــــم رســـــولٍ أرســـــلته لأبيهــــــا

ذبحتــــــه تحـــــت النقــــاب العيـــــون

يــــا ابنــــة العـــمّ والهـــوى أمـــويٌّ

كيـــف أخفـــي الهـــوى وكيـــف أبـــين؟

كــــم قُتلنــــا في عـــــشقنا وبُعثنــــا

بعـــد مـــوتٍ ومــــا علينــــا يمــــينُ

مــــا وقـــوفي علـــى الـــديار وقلـــبي

كجبـــيني قــــد طرّزتــــه الغــــضونُ

لا ظبـــاء الحمــــى ردَدن ســـــلامي

والخلاخيـــــل مــــا لهــــنّ رنــــين

يــــا زمانـــــاً في الـــصالحية سمحــــاً

أيـــن مـــني الغِـــوى وأيـــن الفتـــونُ؟

(*) الأعمال السياسية الكاملة، الجزء الثالث، منشورات نزار قباني - بيروت، ص٤٢٩.

يـــا ســـريري ويـــا شراشـــف أمـــي

يـــا عـــصافير يـــا شـــذا، يـــا غـــصون

يـــا زواريـــب حـــارتي خبئـــيني

بـــين جفنيـــك فالزمـــان ضـــنينُ

واعـــذريني إن بـــدوتُ حزينـــاً

إنَّ وجـــه المحـــبِّ وجـــهٌ حـــزينُ

هـــا هـــي الـــشام بعـــد فرقـــة دهـــرٍ

أنهُـــرُ ســـبعةٌ وحـــورٌ عـــين

النـــوافير في البيـــوت كـــلام

والعناقيـــد ســـكّرٌ مطحـــون

والـــسماء الزرقـــاء دفـــتر شـــعرٍ

والحـــروف الـــتي عليـــه ســـنونو

هـــل دمـــشق كمـــا يقولـــون كانـــت

حـــين في الليـــل فكّـــر اليـــاسمين؟

آه يـــا شـــام كيـــف أشـــرح مـــا بـــي

وأنـــا فيـــكِ دائمـــاً مـــسكونُ

ســـامحيني إن لم أكاشـــفك بالعـــشق

فـــأحلى مـــا في الهـــوى التـــضمينُ

نحـــن أســـرى معـــاً وفي قفـــص الحـــبّ

يعـــاني الـــسجّان والمـــسجونُ

يـــا دمـــشق الـــتي تقمّـــصت فيهـــا

هـــل أنـــا الـــسَّرو أم أنـــا الـــشَّربين

أم أنـــا الفـــلّ في أبـــاريق أمــــي

أم أنـــا العـــشب والـــسحاب الهتـــونُ

أم أنـــا القطـــة الأثـــيرة في الـــدّار

تلبّـــــي إذا دعاهـــــا الحـــــنينُ

يـــا دمـــشق الـــتي تفـــشى شـــذاها

تحـــت جلـــدي كأنـــه الزَّيْزَفـــونُ

ســـامحيني إذا اضـــطربت فـــإني

لا مقفّـــــى حـــــبي ولا مـــــوزونُ

وازرعـــيني تحـــت الـــضفائر مـــشطاً

فأريـــك الغـــرام كيـــف يكـــونُ

قـــادم مـــن مـــدائن الـــريح وحـــدي

فاحتـــضِنّي كالطفـــل يـــا قاســـيونُ

احتـــضنّي خمـــسين ألفـــاً وألفـــاً

فمـــع الـــضمّ لا يجـــوز الـــسكونُ

أهـــي مجنونـــة بـــشوقي إليهـــا

هـــذه الـــشام، أم أنـــا المجنـــون؟

حامـــلٌ حبّهـــا ثلاثـــين قرنـــاً

فـــوق ظهـــري ومـــا هنـــاك معـــينُ

كلمـــا جئتـــها أردّ ديـــوني

للجمـــيلات حاصـــرتني الـــديونُ

إن تخلـــت كـــل المقـــادير عـــني

فبعـــيني حبيـــبتي أســـتعينُ

يـــا إلهـــي جعلـــت عـــشقي بحـــراً

أحـــرامٌ علـــى البحـــار الـــسكونُ

يـــا إلهـــي هـــل الكتابـــة جـــرحٌ

لـــيس يـــشفى، أم مـــاردٌ ملعـــونُ؟

كـــم أعـــاني في الـــشعر موتـــاً جمـــيلاً

وتعـــاني مـــن الريـــاح الـــسُّفُنُ

جـــاء تـــشرين يـــا حبيبـــة عمـــري

أحـــسنُ الوقـــت للـــهوى تـــشرينُ

ولنـــا موعـــدٌ علـــى جبـــل الـــشيخ

كـــمِ الـــثلجُ دافـــئٌ وحنـــونُ

لم أعانقـــكِ مـــن زمـــن طويـــلٍ

لم أحـــدِّثْكِ والحـــديث شـــجونُ

لم أغازلـــك والتغـــزل بعـــضي

للـــهوى دينـــه وللـــسيف ديـــن

ســـنوات ســـبع مـــن الحـــزن مـــرّت

مـــات فيهـــا الصفـــصاف والزَّيْزَفـــون

ســـنوات فيهـــا اســـتقلت مـــن الحـــبِّ

وجفّـــت علـــى شـــفاهي اللحـــون

ســـنوات ســـبع بهـــا اغتالنـــا اليـــأس

وعلـــم الكـــلام واليانـــسون

فانقسمنا قبائلاً وشعوباً
واستُبيح الحمى وضاع العرين
كيف أهواك حين حَوّلَ سريري
يتمشى اليهود والطاعون
كيف أهواك والحمى مستباحٌ
هل من السهل أن يحب السجينُ
لا تقولي: نسيتَ، لم أنسَ شيئاً
كيف تنسى أهدابهنّ الجفونُ؟
غير أنَّ الهوى يصير ذليلاً
كلما ذلّ للرجال جبينُ
شام يا شام يا أميرة حبي
كيف ينسى غرامَه المجنونُ؟
أوقدي النار فالحديث طويل
وطويل لمن نحب الحنين
شمس غرناطة أطلّت علينا
بعد يأسٍ وزغردتْ ميسلونُ
جاء تشرين إنَّ وجهك أحلى
بكثير، ما سرّه تشرينُ؟
كيف صارت سنابل القمح أعلى
كيف صارت عيناك بيت السنونو

إنّ أرض الجـــولان تـــشبه عينيـــــ

ـــك فمــاءٌ يجــري ولــوزٌ وتـــين

كــــل جـــرح فيهـــا حديقـــة ورد

وربيــــــع ولؤلـــــؤٌ مكنــــون

يــا دمـــشق البـــسي دمـــوعي ســـواراً

وتمنَّـــي فكـــل صـــعب يهـــونُ

وضـــعي طرحـــة العـــروس لأجلـــي

إنَّ مهـــــر المناضـــلات ثمـــين

رضـــي الله والرســـول عـــن الـــشا

م فنـــصرّاتٍ وفـــتحٌ مـــبينُ

مزقـــي يـــا دمـــشق خارطـــة الـــذلّ

وقـــولي للـــدهر: كُـــنْ، فيكـــونُ

اســـتردت أيامهـــا بـــك بـــدرٌ

واســـتعادت شـــبابها حطـــينُ

بـــك عـــزّت قـــريش بعـــد هـــوانٍ

وتلاقـــت قبائـــل وبطـــونُ

إنَّ عمـــرو بـــن العـــاص يزحـــف للـــشر

ق وللغـــرب يزحـــف المـــأمون

كتـــب الله أن تكـــوني دمـــشقاً

بـــك يبـــدا وينتـــهي التكـــوينُ

لا خيـــارٌ أن يـــصبح البحــــر بحــــراً

أوَ يختــــــارُ صـــــوته الحَــــسُونُ؟

ذاك عمــــر الـــــسيوف لا ســـــيف إلا

دائـــــنٌ يـــــا حبيــــبتي أو مـــــدينُ

هـــزم الـــروم بعـــد ســـبعٍ عجـــافٍ

وتعـــــافى وُجــــــداننا المطعــــــونُ

وقتلنــــا العنقـــــاء في جبـــــل الـــشيـ

ـــــخ وألقــــى أضراســـــه التـــــنين

صـــدق الـــسيف وعـــدَه يـــا بـــلادي

فالـــــسياسات كلّهـــــــا أفيـــــون

صـــدق الـــسيف حاكمـــاً وحكيمـــاً

وحــده الـــسيف، يـــا دمـــشقُ، الـــيقينُ

اســـحبي الـــذيل يـــا قنيطـــرة المجــ

ــــد وكحِّـــلْ جفنيـــك يـــا حَرَمـــونُ

ســـــبقت ظلّهــــا خيـــــول هــــشامٍ

وأفاقـــــت مـــــن نومهـــــا الـــسكّينُ

علّمينـــــا فقـــــهَ العروبــــة يـــا شـــا

م فانـــــتِ البيــــــان والتبــــيين

علّمينـــــا الأفعـــــالَ قـــــد ذبحتنـــــا

أحـــرف الجـــرّ والكـــلام العجـــينُ

علّمينـــــا قــــراءة الـــبرق والرّعـــــ

ــــد فنــصف اللغـــات وحـــل وطـــينُ

علمينـــا الـــتفكيرَ لا نـــصرَ يُرجـــى

حينمــــا الـــشعب كلّــــه ســـردينُ

إنّ أقـــصى مـــا يغـــضب الله فكـــرٌ

دجّنـــــوه وكاتـــــبٌ عِــــنِّينُ

وطـــني يـــا قـــصيدة النـــار والـــور

د تغنّـــت بمـــا صـــنعت القـــرون

إنّ نهـــر التـــاريخ ينبـــع في الـــشا

م أيلغـــي التـــاريخَ طِـــرْحٌ هجـــينُ

نحـــن عكّـــا ونحـــن كَرْمِـــلُ حيفـــا

وجبـــال الجليــــل واللّطـــرون

كـــل ليمونـــةٍ ســـتنجب طِفـــلاً

ومحـــالٌ أن ينتـــهي الليمـــون

شـــام يـــا شـــام غيّـــري قـــدرَ الـــشمـ

ـــس وقـــولي للـــدهر: كُـــنْ، فيكـــونُ



ماذا تفعل بي دمشق؟(*)

نزار قباني

-١-

ينطلق صوتي، هذه المرة، من دمشق .

ينطلق من بيت أمي وأبي .

في الشام، تتغيّر جغرافيةً جسدي .

تصبح كريات دمي خضراء .

وأبجديّتي خضرا ء .

في الشام، ينبت لفمي فمٌ جديدٌ

وينبت لصوتي صوتٌ جديدٌ

وتصبح أصابعي،

قبيلةً من الأصابعْ .

-٢-

أعود إلى دمشقْ

(*) الأعمال دمشق نزار قباني، قصائد لنزار قبّاني، اختيار: صباح قبّاني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٥، ص ٥٩ .

ممتطياً صهوة سحابةْ

ممتطياً أجمل حصانَيْنِ في الدنيا

حصانِ العشقْ.

وحصانِ الشِّعرْ..

أعود بعد ستين عاماً

لأبحث عن حبل مشيمتي،

وعن الحلاّق الدمشقيِّ الذي خَتنني،

وعن القابلة التي رمتني في طَسْتٍ تحت السريرْ

وقبضَتْ من أبي ليرةً ذهبية،

وخرجتْ من بيتنا

في ذلك اليوم من شهر آذار عام ١٩٢٣

ويداها ملطّختان بدم القصيدهْ.

-٣-

أعود إلى الرِّحِمِ الذي تشكّلتُ فيه..

وإلى الكتابِ الأولِ الذي قرأتُ فيه..

وإلى المرأةِ الأولى التي علّمتني

جغرافيَّةَ الحبّْ..

وجغرافيَّةَ النساء..

-٤-

أعود..

بعدما تناثرتْ أجزائي في كل القاراتْ

وتناثر سُعالي في كلِّ الفنادقْ
فبعد شراشف أمِّي المعطَّرة بصابون الغارْ
لم أجدْ سريراً أنام عليه ..
وبعد عَروسة الزيتِ والزعتر ..
التي كانت تلفُها لي ..
لم تعدْ تُعجبني أيُ عروس في الدنيا. وبعد مربَّى السفرجلِ
الذي كانت تصنعه بيديها
لم أعد متحمِّساً لإفطار الصباحْ ..
وبعد شراب التوت الذي كانت تعصرهُ
لم يعد يُسكرني أيُ نبيذْ ..

-٥-

أدخل صحنَ الجامع الأمويّ
أسلِّم على كلٍّ من فيه
زاويةً .. زاويهْ ..
بلاطةً .. بلاطهْ ..
حمامةً .. حمامهْ ..
اتجوَّل في بساتين الخطِّ الكوفيِّ
واقطف أزهاراً جميلةً من كلام الله ..
وأسمع بعينيَّ صوت الفسيفساء ..
وموسيقى مسابح العقيقْ ..

تأخذني حالةٌ من التجلّي والانخطافْ ،

فأصعد درجات أوّلِ مئذنة تصادفني

منادياً: «حيَّ على الياسَمينْ »

« حيَّ على الياسَمينْ »

-٦-

عائدٌ إليكم ..

وأنا مضرَّجٌ بأمطار حنيني

عائدٌ لأملأ جيوبي

بالقِضامة، والجانَرِكْ، واللوز الأخضرْ

عائدٌ إلى محارتي .

عائدٌ إلى سرير ولادتي .

فلا نوافيرَ فرسَايْ

عوّضتني عن (مقهى النُوفَرَهْ) ..

ولا سوقُ الهالِ في باريس

عوّضني عن (سوق الجمعهْ) ..

ولا قصرُ باكنغهام في لندنْ

عوّضني عن (قصر العظمْ) ..

ولا حمائم ساحة (سان ماركو) في فينيسا

أكثرُ بَركة من حمائم الجامع الأمويّ

ولا قبرُ نابليون في الأنفاليدْ

أكثر جلالاً من قبر صلاح الدين الأيوبي ..

-٧-

أتجوَّل في حارات دمشق الضيِّقةْ ..

تستيقظ العيون العسلية، خلف الشبابيكْ

وتسلِّم عليّ ..

تلبس النجومُ أساورها الذهبيةَ ..

وتسلِّم عليّ ..

تخرج لي القططُ الشاميةُ النَّظيفةْ

التي وُلدت معنا ..

وراهقتْ معنا ..

وتزوَّجتْ معنا ..

لتسلِّم عليّ ..

-٨-

أتغلغل في (سوق البُزُوريّةْ) .

مبحراً في سحب البهارْ

وغمائم القرنفلِ

والقِرفةِ ..

واليانسونْ ..

أتوضأ بماء الورد مرّةً ..

وبماء العشقِ مرات ..

وأنسى - وأنا في سوق العطارينْ -

جميعَ مستحضرات (نينا ريتشي).

و (كُوكُوشانيلْ) ..

ماذا تفعل بي دمشقُ؟؟

كيف تغيِّر ثقافتي، وذوقي الجماليّ؟

فيُنسيني رنين طاسات (عِرْقِ السُوسْ)

كونشرتو البيانُو لِرَحْما نينوفْ

كيف تغيِّرني بساتين الشامْ؟

فأصبح أوَّلَ عازفٍ في الدنيا

يقود أوركسترا

من شجر الصفصاف!!

-٩-

جئتكم ..

من تاريخ الوردة الدمشقيةْ ..

التي تختصر تاريخ العِطْر ..

ومن ذاكرة المتنبّي ..

التي تختصر تاريخ الشِّعرْ ..

جئتكم ..

من أزهار النّارَنْجِ ..

والأضاليا ..

والنَّرْجِسِ ..

والشابِّ الظريفْ ..

التي علمتني أوَّل الرسمْ ..

جئتكمْ ..

من ضِحكة النساء الشامياتْ

التي علَّمتني أوَّلَ الموسيقى ..

وأوَّل المراهقةْ ..

ومن مزاريب حارتنا ..

التي علَّمتني أوَّلَ البكاءْ ..

ومن سجادة صلاة أمّي

التي علَّمتني

أوَّلَ الطريق إلى الله ...

-١٠-

افتح جوارير الذاكرةْ ..

واحداً .. واحداً ..

أتذكّر أبي .

خارجاً من معمله في (زقاق معاويهْ)

أتذكّر عربات الخيلْ ..

وبائعي الصّبّارةْ ..

ومقاهي (الربوة)

التي تكاد - بعد بطحة العرق الخامسة-

أن تسقط في النهرْ ..

أتذكَّر المناشف الملوَّنةْ ..

وهي ترقص على باب (حمام الخياطينْ)

كأنها تحتفل بعيدها القوميّ.
أتذكّر البيوتَ الدمشقيَّةْ..
بمقابض أبوابها النحاسيَّةْ..
وسقوفها المطرَّزة بالقيشاني
وباحاتها الجوّانيَّةْ..
التي تذكِّركَ بأوصاف الجنَّه...

-١١-

البيتُ الدِّمشقيّ
خارجٌ على نص الفنِّ المعماريّ..
هندسةُ البيوت عندنا..
تقوم على أساسٍ عاطفيّ
فكلُ بيتٍ يسند خاصرة البيت الآخرْ
وكل شُرفةْ..
تمدُ يدها للشرفة المقابلةْ..
البيوت الدمشقيَّةُ بيوتٌ عاشقةْ..
فهي تسلِّم على بعضها صباحاً..
وتتبادل الزياراتِ..
- في السرِّ - ليلاً....

-١٢-

عندما كنت دبلوماسياً في بريطانيا

قبلَ ثلاثين عاماً

كانت أمي ترسل لي في مطلع الربيعْ

في داخل كلِّ رسالةْ ..

حُزمة (طَرْخُونْ) ...

وعندما ارتاب الإنجليز في رسائلي

أخذوها إلى المختبرْ ..

ووضعوها تحت أشعة الليزرْ

وأحالوها إلى سكوتلانديارد ..

وخُبراء المتفجراتْ ..

وعندما تعبوا مني ـ ومن (طَرْخُوني) ..

سألوني: قل لنا بحقِّ الله ...

ما اسم هذه العشبة السحريَّة التي دوّختنا؟

هل هي تعويذة؟

أم هي دواء؟

أم هي شيفرة سريَّةْ؟

وماذا يقابلها باللغة الإنجليزية؟

قلت لهم: صعبٌ أن أشرح لكم الأمرْ ..

فالطَّرْخُونُ لغة تتكلّمها بساتين الشام فقطْ ..

وهو عُشبتنا المقدَّسةْ ..

وبلاغتنا المعطَّرَةْ ..

ولو عرف شاعركم العظيم شكسبير (الطَّرْخُونْ)

لكانت مسرحيّاته أفضلْ ..

وباختصارْ ..

إنَّ أمّي امرأة طيبةٌ جدّاً. وتحبُني جدّاً ..

وعندما كانت تشتاق لي ..

كانت ترسل لي باقة (طَرْخُونْ) ..

(فالطَّرْخُونُ) عندها هو المعادل العاطفي ..

لكلمة (يا حبيبي) ...

وعندما لم يفهم الإنجليز حرفاً واحداً من مرافعتي الشعريهْ ..

أعادوا لي (طَرْخُونِي). وأغلقوا محضر التحقيقْ ..

-١٣-

من (خان أسعد باشا)

يخرج أبو خليل القبّاني ..

بقُنْبازِهِ الدامسكو ...

وعمامته المقصَّبةْ ...

وعينيه المسكونتين بالأسئلهْ ...

كعيني (هامْلِتْ) ...

يحاول أن يقدّم مسرحاً طليعيّاً

فيطالبونه بخيمة قَرَهْ كُوز ..

يحاول أن يقدم نصّاً من شكسبيرْ

فيسألونه عن أخبار الزّيرْ ...

يحاول، أن يجد صوتاً نسائياً واحداً ..

يغني معهُ ..

(يا مال الشام) ...

فيُخرطِشُونَ بواريدهم العثمانيَّةْ ..

ويطلقون النارَ على كل شجرة وردْ ...

تحترف الغناء...

يحاول أن يجد امرأةً واحدهْ ...

تردِّد وراءهُ :

(يا طَيِّرهْ طيري يا حمامهْ) ..

فيستلُّون سكاكينهم ..

ويذبحون كلَّ سُلالات الحمامْ ..

وكلَّ سلالات النساء ...

بعد مئة عامْ ...

اعتذرتْ دمشقُ لأبي خليلٍ القبَّاني ..

وشيَّدتْ مسرحاً جميلاً باسمه .

-١٤-

ألبسُ جُبَّةَ محيي الدينِ ابنِ عربيّ

وأهبطُ من قمَّة جبل قاسيونْ

حاملاً لأطفال المدينةْ ..

خَوْخاً ..

ورمّاناً ..

وحلاوةً سمسميّةً ..

ولنسائها ..

أطواق الفيروز ..

وقصائد الحبّ ..

أدخلُ .

في نفقٍ طويلٍ من العصافيرْ

والمنثورْ ..

والخُبّيْزهْ ..

والياسمين العراتليّ ..

أدخلُ في أسئلة العِطْر ..

تضيع مني حقيبتي المدرسيّه ..

والسَّفَرْطاسُ النحاسيّ ..

الذي كنت أحمل فيه طعامي ..

والخرزةُ الزرقاء ..

التي كانت تعلّقها أمّي في صدري .

فيا أهلَ الشامْ .

من وجدني منكم .. فليردُّني إلى (أم المعتزّ) ..

وثوابه عند الله ...

أنا عصفوركم الأخضر .. يا أهل الشامْ ..

فمن وجدني منكم .. فليطعمني حبّة قمحْ ...

أنا وردتكم الدمشقيَّةُ .. يا أهل الشامْ ..

فمن وجدني منكم فليضعني في أول مزهريةْ ..

أنا شاعركم المجنون .. يا أهل الشامْ ..

فمن رآني منكم .. فليلتقط لي صورة تذكاريَّةْ ..

قبل أن أُشفى من جنوني الجميلْ ..

أنا قمركم المشرَّد .. يا أهل الشامْ ..

فمن رآني منكم ..

فليتبرعْ لي بفراش .. وبطانية صوفْ ..

لأنَّني لم أنَمْ منذ قرونْ ...



طريق دمشـق(*)

محمود درويش

من الأزرق ابتدأ البحر

هذا النهار يعود من الأبيض السابق

الآن جئتَ من الأحمرِ اللاحقْ

اغتسلي يا دمشقُ بلوني

ليولدَ في الزمن العربي نهار

أحاصركم: قاتلاً أو قتيل

وأسألكم شاهداً أو شهيد

متى تُفرجون عن النهر حتى أعود إلى الماء أزرق

أخضر

أحمر

أصفرْ

أو أيَّ لونٍ يحدّده النهر

إنّي خرجتُ من الصيفِ والسيف

(*) لماذا تركتُ الحصان وحيداً، محمود درويش، رياض الريّس، ط٣، ٢٠٠١م.

إنّي خرجتُ من المهدِ واللحد

نامتْ خيولي على شجرِ الذكريات

ونمتُ على وَتَرِ المعجزات

ارتدتني يداك نشيداً إذا أنزلوه على جبل، كان سورة «ينتصرون»

دمشق ارتدتني يداكِ دمشق ارتديتُ يديك

كأنَّ الخريطة صوت يفرِّخ في الصخر

نادى وحركني

ثم نادى وفجّرني

ثم نادى وقطرّني كالرخام المذاب

ونادى

كأنَّ الخريطة أنثى مقدَّسة فجّرتني بِكارتها. فانفجرت

دفاعاً عن السرِّ والصخر

كوني دمشق

فلا يعبرون!

من البرتقاليِّ يبتدئُ البرتقال

ومن صمتِها يبدأ الأمس

أو يولد القبر

يا أيّها المستحيلُ يسمّونك الشام

أفتح جرحي لتبتدئ الشمس ما اسمي؟ دمشق

وكنت وحيداً

ومثلي كان وحيداً هو المستحيل

أنا ساعة الصفر دقّتْ

فشَقّتْ

خلايا الفراغ على سرج هذا الحصان

المحاصرِ بين المياه

وبين المياه

أنا ساعة الصفرِ

جئت أقول:

أحاصرهم قاتلاً أو قتيلْ

أعدّ لهم استطعت .. وينشق في جثتي قمر المرحلة

وأمتشق المِقْصلَه

أحاصرهم قاتلاً أو قتيلْ

وأنسى الخلافةَ في السِّفْرِ العربي الطويل

إلى القمحِ والقدسِ والمستحيلْ

يؤخرني خنجران:

العدوّ

وعورة طفل صغير تسمونه

بَرَدَى

وسمّيتُهُ مبتدأ

وأخبرته أنّني قاتلٌ أو قتيلْ

منَ الأسود ابتدأ الأحمر. ابتدأ الدم

هذا أنا هذه جثتي

أي مرحلة تعبر الآن بيني وبيني

أنا الفرق بينهما

همزة الوصل بينهما

قُبلة السيف بينهما

طعنة الورد بينهما

آه ما أصغر الأرض!

ما أكبر الجرح

مروا

لتتسع النقطة، النطفة، الفارق،

الشارع، الساحل، الأرض،

ما أكبر الأرض!

ما أصغر الجرح

هذا طريق الشام. وهذا هديل الحمام

وهذا أنا. هذه جثتي

والتحمنا

فمرّوا ..

خذوها إلى الحرب كي أنهيَ الحرب بيني وبيني

خذوها. أحرقوها بأعدائها

انزلوها على جبلٍ غيمةً أو كتاباً

ومروا

ليتسع الفرق بيني وبين اتّهامي

طريق دمشق

دمشق الطريق

ومفترق الرسل الحائرين أمام الرمادي

إني أغادر أحجاركم - ليس مايو جداراً

أغادر أحجاركم وأسير

وراء دمي في طريق دمشق

أحارب نفسي وأعداءها

ويسألني المتعبون، أو المارة الحائرون عن اسمي

فأجهله

اسألوا عشبة في طريق دمشق!

وأمشي غريباً

وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي

فأقول: افتِّش فوق طريق دمشق

وأمشي غريباً

ويسألني الحكماء المملون عن زمني

فأشير حجر أخضر في طريق دمشق

وأمشي غريباً

ويسألني الخارجون من الدير عن لغتي

فأعدُ ضلوعي وأخطئ

إني تهجّيْتُ هذي الحروفَ فكيف أركّبها؟

دال ميم شين قاف

فقالوا: عرفنا - دمشق!

ابتسمت شكوت دمشق إلى الشام

كيف محوت ألوف الوجوه

وما زال وجهك واحد!

لماذا انحنيت لدفن الضحايا

وما زال صدرك صاعد

وأمشي وراء دمي وأطيع دليلي

وأمشي وراء دمي نحو مشنقتي

هذه مهنتي يا دمشق

من الموت تبتدئين وكنت تنامين في قاع صمتي ولا تسمعين.

وأعددت لي لغة من رخام وبرق

وأمشي إلى بردى آه مستغرقاً فيه أو خائفاً منه

إنَّ المسافة بين الشجاعة والخوف

حلم

تجسّد في مشنقه

آه، ما أوسع القبلة الضيقة!

وأرّخني خنجران:

العدو

ونهر يعيش على معمل

هذه جثتي، وأنا

أفقٌ ينحني فوقكم

أو حذاء على الباب يسرقه النهر

اقصد

عورة طفل صغير يسمّونه

بَرَدَى

وسمّيته مبتدأ

وأخبرته أنّني قاتلٌ أو قتيل
تقلّدني العائدات من الندم الأبيض
الذاهبات إلى الأخضر الغامض
الواقفات على لحظة الياسمين
دمشق! انتظرناك كي تخرجي منك
كي نلتقي مرةً خارج المعجزات
انتظرناك
والوقت نام على الوقت
والحبّ جاء، فجئنا إلى الحرب
نغسل أجنحة الطير بين أصابعك الذهبيّة
يا امرأةً لونها الزبد العربي الحزين .
دمشق الندى والدماء
دمشق الندى
دمشق الزمان
دمشق العرب !
تقلّدني العائدات من النّدم الأبيض
الذاهبات إلى الأخضر الغامض
الواقفات على ذبذبات الغضب
ويحملك الجند فوق سواعدهم
يسقطون على قدميك كواكب
كوني دمشق التي يحلمون بها
فيكون العرب

قلت شيئا، وأكمله يوم موتي وعيدي

من الأزرق ابتدأ البحر

والشام تبدأ مني - أموت

ويبدأ في طرق الشام أسبوع خلقي

وما أبعد الشام، ما أبعد الشام عني!

وسيف المسافة حزَّ خطاياي .. حزَّ وريدي

فقرّبني خنجران :

العدو وموتي

وصرت أرى الشام .. ما أقرب الشام مني

ويشنقني في الوصول وريدي

وقد قلت شيئاً .. وأكمله

كاهن الاعترافات ساومني يا دمشق

وقال: دمشق بعيدهْ

فكسّرت كرسيه وصنعت من الخشب الجبلي صليبي

أراك على بعد قلبين في جسد واحد

وكنت أطل عليك خلال المسامير

كنت العقيدة

وكنت شهيد العقيدهْ

وكنت تنامين داخل جرحي

وفي ساعة الصفر - تمّ اللقاء

وبين اللقاء وبين الوداع

أودّع موتي .. وأرحل

ما أجمل الشام ، لولا الشام، وفي الشام

يبتدئ الزمن العربي وينطفئ الزمن الهمجيّ

أنا ساعة الصفر دقّتْ

وشقتْ

خلايا الفراغ على سطح هذا الحصانِ الكبيرِ الكبيرْ

الحصان المحاصر بين المياه

وبين المياه

أعدّ لهم ما استطعت ..

وينشقّ في جثتي قمر .. ساعة الصفر دقّتْ،

وفي جثتي حبّة أنبتتْ للسنابل

سبع سنابل، في كلّ سنبلة ألف سنبلة ..

هذه جثتي .. أفرغوها من القمح ثم خذوها إلى الحرب

كي أنهي الحرب بيني وبيني

خذوها أحرقوها بأعدائها

خذوها ليتّسع الفرق بيني وبين اتهامي

وأمشي أمامي

ويولد في الزمن العربي .. نهار



قرأت مجدك

سعيد عقل

قـــرأتُ مجــدَكِ في قلـــبي وفي الكُتُــبِ

شَــآمُ ، مــا المجـدُ؟ أنــتِ المجـدُ لم يَغِــبِ

إذا علـــى بَـــرَدَى حَـــوْرٌ تأهَّـــلَ بـــي

أحســسْتُ أعلامَــكِ اختالــتْ علــى الــشُّهُبِ

أيّـــامَ عاصِـــمَةُ الـــدّنيا هُنَـــا رَبطَـــتْ

بَعَزمَتَـــي أُمَـــويٌ عَزْمَـــةَ الحِقَـــبِ

نـــادتْ فَهَـــبَّ إلى هِنــدٍ وأنـــدلُسٍ

كَغوطـــةٍ مِـــن شَـــبا المُـــرَّانِ والقُـــضُبِ

خلَّـــتْ علـــى قِمَـــمِ التّـــاريخِ طابَعَهـــا

وعلّمَـــــتْ أنّـــــهُ بالفتْكَـــــةِ العَجَـــــبِ

وإنّمـــا الـــشعرُ شـــرطُ الفتكـــةِ ارتُجلَــت

علـــى العُـــلا وَتَمَلَّـــتْ رِفعَـــةَ القِبَـــبِ

هـــذي لهـــا النـــصرُ لا أبهـــى، فـــلا هُزمــت

وإن تهَـــــدّدها دَهـــــرٌ مِـــــنَ النُّـــوَبِ

والانتـــصارُ لعَـــالي الـــرّأسِ مُنْحَـــتِمٌ

حُلــواً كمــا المَــوتُ ، جئــتَ المَــوتَ لَــم تَهَــبِ

شـــآمُ أرضَ الـــشّهامات الـــتي اصْـــطَبَغَتْ

بعَنْـــدَميٍّ تَمَتْـــهُ الـــشّمْسُ مُنـــسَكِبِ

ذكّرتـــكِ الخمـــسَ والعـــشرينَ ثورتهـــا

ذاكَ الـــنفيرُ إلى الـــدّنيا أنِ اضْـــطَرِبي

فُكّـــي الحديـــدَ يواعِـــدُكِ الألى جَبَهُـــوا

لدولـــةِ الـــسّيفِ سَـــيفاً في القِتـــالِ رَبِـــي

وخلَّفُـــوا قَاسَـــيُوناً للأنـــامِ غَـــداً

طُـــوراً كَـــسيناءَ ذاتِ اللّـــوحِ والغلَـــبِ

شـــآمُ لفـــظُ الـــشآمِ اهتَـــزَّ في خَلَـــدي

كمـــا اهتـــزازُ غـــصونِ الأرزِ في الهـــدُبِ

أنزلـــتُ حُبَّـــكِ في آهِـــي فـــشدَّهَا

طَرِبْـــتُ آهـــاً، فكُنـــتِ المجـــدَ في طَرَبِـــي



سائليني يا شام

سعيد عقل

سائليني حين عطّرت السلامْ

كيف غار الورد واعتلّ الخزامْ

وأنا لو رحت استرضي الشذا

لانثنى لُبنان عطراً يا شآمْ

ضفّتاك ارتاحتا في خاطري

واحتمى طيرك في الظنّ وحامْ

نقلة في الزهر أم عندلة

أنت في الصحو و تصفيق يمام؟

أنا إن أودعت شعري سكرة

كنت أنت السكب أو كنت المدام

❖ ❖ ❖

رد لي من صبوتي يا بردى

ذكريات زُرْنَ في لَيّا قوام

ليلـــة ارتـــاح لنـــا الحـــورُ فـــلا

غـــصن إلا شـــج أو مـــستهام

وتهـــاوى الـــضوء إلا نجمـــة

ســـهرت تطفـــي أوامـــاً بـــأوام

ســـائليني مـــن دلال قبلـــة

يعـــصر الـــدهر بهـــا كـــأس غـــرام

وارتمـــت يكـــسر مـــن هـــدب لهـــا

مـــسهب الطـــول حيـــاءً واحتـــشام

ورجعـــت صفـــصافة مـــن حـــسنها

وعـــرى أغـــصانها الخـــضر ســـقامٌ

فحـــسرت الـــشعر عـــن جبهتـــها

أســـأل الحـــسن: أفي الأرض أقـــام؟

وتأنيـــت أملّـــي خـــاطري

قبـــل أن يحجبـــها ضـــم الهيـــام

أو لخـــوفٍ بـــي علـــى ثانيـــةٍ

ســـوف تمـــضي فمنـــى العمـــر حطـــام

لم تـــدع لي شـــقوة أحيـــا بهـــا

ورنـــت يمـــلأ عينيهـــا ابتـــسام

اومـــأت لي فـــامّحى كـــل ســـنى

مرهـــقٍ غـــير فـــم عـــذبِ المـــلام

وإذا قبّلتنا فرّ إلى

عالم أبهى وسكنى في منام

تقف النجمة عن دورتها

عند ثغرين وينهار الظلام

❖ ❖ ❖

طوّفي بي ذكرياتي طلقة

واغنمي أطياب ذيّاك الوئام

وامرحي بين دمشق وحمى

تلكم الصفحة من رفعة هام

خطها صيدٌ أباةٌ غصبوا

حقهم والحقُ غصبٌ أو حمام

غالبوا السيف عريقاً حدّه

فانثنى السيف وفي الحدّ احترام

هذه الغوطة أوفى تربة

بهم أم جبل النبكِ القدام

كم فتى بات فراشاً سرجه

نام والكف على سير اللجام

وفتاة خلعت أسوارها

تشتري حلياً بها غير كهام

وشـــــجاع لم يـــــسعه عمـــــره

راح يحيـــا ســـعة المـــوت الـــزؤام

أســــد الثـــورة وســـدتم ثـــرى

هـــو مـــن مـــشرقنا الأرض الحـــرام

طيّبتــــه مـــن جنـــوب نفحـــة

عبقـــت مـــن ضـــارب في الغـــيم ســـام

جبــــل يجمـــــع في فتيانـــــه

دعـــة الـــسفح إلى عـــز الـــسنام

الترابــــات بــــه أهـــل وفـــا

ومحـــك يـــزن الحـــر الهمـــام

ولــــه أهلـــون إن ينتـــسبوا

يـــشمخ الـــرمح ويعتـــزّ الحـــسام

قـــل لـــذاك النـــسر في معقلـــه:

واحـــد نحـــن إذا الـــشام تـــضام

اســـأل الأبطـــال: هـــل تُنـــسى لنـــا

رفقـــة الأخـــذ بـــأغراض جـــسام؟

ولظـــى الحرمـــان مـــن أهـــلٍ ومـــن

غفـــوة قمـــراء في تلـــك الخيـــام؟

والتقـــاء المـــوت ضـــنّاً بعلـــى

وأحـــايين اشـــتياقاً لاقتحـــام

حرمـــــات بيننـــــا أنقـــــى ســـــنى

مـــن ذرى (الحرمـــون) أو طهـــر الغمـــام

قـــد ســـقينا بالـــدم المجـــد معـــاً

ومعـــاً خـــضنا المجـــالات الكـــرام

وعهـــــدت الـــسيف في ســـــلطانه

ناصـــــع الأفرنـــــد لم يذممـــــه ذام

شـــيمة الليـــث انثنـــى مـــدخراً

صـــولة الـــضاري ليـــوم ذي جهـــام

ليـــت نبقـــي لفلـــسطين القنـــا

وهـــي جـــرح في صـــميم الحـــق دام

❖ ❖ ❖

فلـــك الأمجـــاد ردي مـــا انطـــوى

واقحمـــي الأمـــواج حـــين البحـــر طـــام

يلـــبس الـــدهر قيّـــاداً للـــذي

يتحـــــداه ســـــهاماً بـــــسهام

جـــدّي مـــا وســـع الهـــدم فمـــا

بـــسوى الهـــدم لبـــانين اعتـــصام

والفـــي المـــر بـــسطحي المنـــى

لـــيس يُرضـــي النـــسرَ مـــا يُرضـــي الهـــوام

العبوديـــــات مثنـــــى عنـــــدنا

في الحمـــى غـــازٍ وفي العقـــل قتـــام

تلكـــم دالـــت وهـــذي لم تـــزل

سوســـة تـــبرى فتفتـــت العظـــام

آه مـــن لي بغـــدُ أدنـــى إلى

سلـــسل الحلـــم وأبهـــى مـــن مـــرام

تطـــأ الـــشام بـــه مختالـــة

ســـاحة المجهـــول أو شـــأو الأمـــام

فالحـــضارات هنـــا منبتـــها

شـــدّت الـــدنيا إلى هـــذي الأكـــام

ظمـــئ الـــشرق فيـــا شـــام اسـكبي

وامـــلأي الكـــأس لـــه حتـــى الجمـــام

أهلـــك التـــاريخ مـــن فـــضلتهم

ذكـــرهم في عـــروة الـــدهر وســـام

أمويـــون فـــإن ضـــقت بهـــم

ألحقـــوا الـــدنيا ببـــستان هـــشام

ايّ رأي أنـــت مـــا نـــشأته

تـــوءم الـــسيف لفـــصلٍ واحتكـــام

تمـــتم المجـــد ونـــاغى حلمـــه

فـــوق زنـــديك إذا المجـــد غـــلام

وهـــو حلـــم لـــو دروا أيـــن انتـــهى

لأتتـــــك الأرض حجّـــــاً لمقـــــام

يـــا طريقـــاً مـــن دمـــشق لم يـــزل

لفتـــة الـــدنيا وإجـــلال العظـــام

بـــين تخميـــك تجلـــى للنـــهى

مطلـــع الحـــق وتعلـــيم الـــسلام

فـــإذا جـــدل عـــن مهرتـــه

شـــاول وانكـــب في ذاك الرغـــام

رحـــت تلقـــى مـــصرع العقـــل إذا

كـــان للعقـــل مـــع الحـــق اصـــطدام

❖ ❖ ❖

شـــام يـــا دارة نيـــسان ســـقت

مرجـــك الخـــيرات في الغيـــث الـــسجام

عـــشت يغنـــى منـــك شـــوقي كلمـــا

زرت والـــزورة شـــوق مـــستدام

فكـــأني شـــارب لـــيس يعـــي

خوقـــة القائـــل: خـــذ آخـــر جـــام

وتؤاســـــيني إذا حملتـــــها

منـــك شـــيئاً مـــشرقيات النـــسام

لـــك قـــال الحـــسن مـــذ همّـــت بـــه

ذات صـــبح ونـــضى عنـــه اللثـــام:

مـــن أنـــا؟ أغنيـــة لم تكتمـــل

رصـــدت إلاّ إذا كنـــت الختـــام

وأقـــاحي نمـــت في دمًـــرٍ

أول الـــدهر وماتـــت في الفطـــام

فـــإذا عـــادت حيـــاة طفقـــت

مـــن حـــنين تجـــد الـــدنيا شـــآم

أنـــا لـــست الغـــرد الفـــرد إذا

قـــال طـــاب الجـــرح في شـــجو الحمـــام

أنـــا حـــسبي أنـــني مـــن جبـــل

هـــو بـــين الله والأرض كـــلام

قمـــم كالـــشمس في قـــسمتها

تلـــد النـــور وتعطيـــه الأنـــام



في شارع أبي رمانة(*)

سليمان العيسى

مـــــدّ المـــــساء علـــــى الرصيـــــــ

ـــــف جناحـــــه شـــــيئاً فـــــشيّاً

ومـــــشى رهيـــــفَ الخطـــــو فـــــو

قَ المـــــرج متّئـــــداً حيِيّـــــا

ويـــــداه هـــــذي للنجـــــو

م ترشـــــها عـــــن جانبيّـــــا

فأكـــــادُ أشـــــعر بالـــــسما

ءِ تعلّقـــــت في راحتيّـــــا

وتطـــــوف هـــــذي بالعبيـــــ

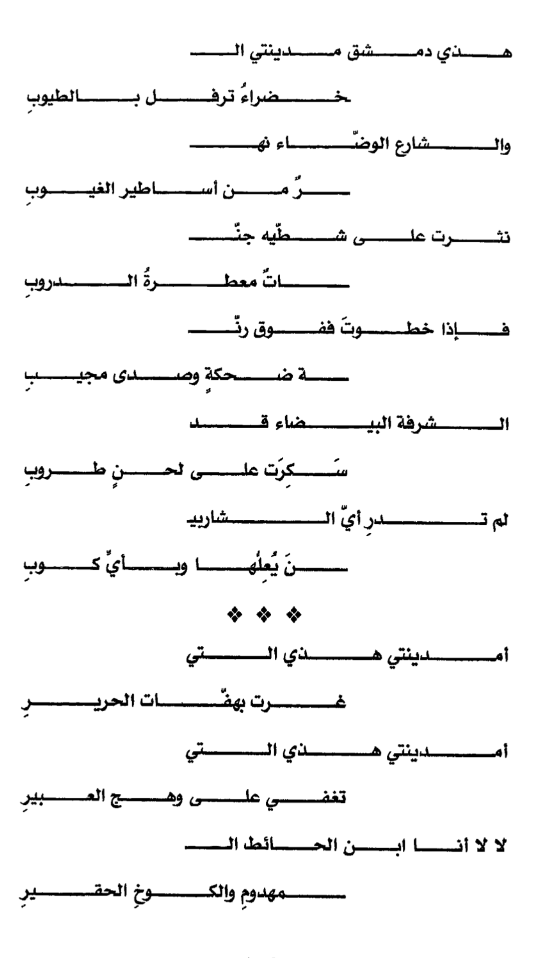
ـــــر يمـــــوج رفّافـــــاً شـــــهيا

فـــــأحِسّ أنفـــــاس الإلـــــ

ـــــه وروحـــــه في جانحيّـــــا

❖ ❖ ❖

(*) الأعمال الكاملة، سليمان العيسى، ج٣، ص ١٣٦.



هـــــذي دمـــــشق مـــــدينتي الـــــ

خـــــضراءُ ترفـــــل بـــــالطيوبِ

والـــــشارعِ الوضّـــــاء نهـــــ

ـــــرٌ مـــــن أســـــاطير الغيـــــوبِ

نثـــــرت علـــــى شـــــطّيه جنّـــــ

ـــــاتٌ معطـــــرةُ الـــــدروبِ

فـــــإذا خطـــــوتَ ففـــــوق رنّـــــ

ـــــة ضـــــحكةٍ وصـــــدى مجيـــــبِ

الـــــشرفة البيـــــضاء قـــــد

سَـــــكِرَت علـــــى لحـــــنٍ طـــــروبِ

لم تـــــدرِ أيّ الـــــشاربيـ

ـــــنَ يُعِلُهـــــا وبـــــأيٍّ كـــــوبِ

❖ ❖ ❖

أمـــــدينتي هـــــذي الـــــتي

غـــــرت بهفّـــــات الحريـــــرِ

أمـــــدينتي هـــــذي الـــــتي

تغفـــــي علـــــى وهـــــج العـــــبيرِ

لا لا أنـــــا ابـــــن الحـــــائط الـــــ

ـــــمهدومِ والكـــــوخِ الحقـــــيرِ

ابِـــــنُ الطريـــــق أجُــــرُ منـــــــ

ـــــه طينـــــه حتّــــى حـــــصيري

ابِّـــــنُ الظــــــلام يـــــردّ قـــــر

يتنـــــا مـــــساءً كــــــالقبورِ

لا لا أنــــا ابــــنُ الــــشعب يحــــ

ــــمل مـــنكبي عــــبء العــــصورِ

❖ ❖ ❖

هـــــذي المبـــــاهج والحلـــــى

يغمـــــرن حــــولي كـــــلّ عـــــابر

هــــــذا الجمـــــال المـــــستثيـ

ـــــرُ وهـــــذه الفـــــتن الـــــسوافر

هــــذي الجنـــــائن ينـــــسكبـ

ـــــن ســـــناً وعطــــراً في المحـــــاجر

هـــــذي القـــــصور تكــــاد بيـ

ـــــن الــــضوء تـــشربها النـــواظر

ليـــست ســـوى غــــصص تمــــزّ

قُ بـــــالمرارة صــــدرَ شـــــاعر

لجـــــجُ الــــدموع الحمــــر مــــا

كانـــــت لتحجبــــها الــــستائر

❖ ❖ ❖

دمشــق

أدونيس

أومأتِ

جئتُ إليكِ حنجرةً يتيمه

أقتاتُ، أنسج صوتها الشفقيّ من لغة رجيمهْ

تتبطن الدنيا وتخلع باب حكمتها القديمهْ

وأتيتُ، لي نجمٌ ولي نار كليمه:

يا نجمُ، رُدَّ لي المجوسَ

فالكونُ من ورقٍ وريحِ

ودمشقُ سرّة ياسمين

حُبلى،

تمدّ أريجها

سقفاً

وتنتظر الجنين .



دمشــق

مظفّر النّوّاب

دمـــشق عـــدت بـــلا حزنـــي ولا فرحـــي

يقـــودني شـــبح مـــضنى إلى شـــبحِ

ضـــيعت منـــك طريقـــاً كنـــت أعرفـــه

ســـكران مغمـــضة عـــيني مـــن الطفـــح

أصـــابح الليـــل مـــصلوباً علـــى جـــسدٍ

لم أدرِ أيَّ خفايـــــا حـــــسنه قـــــدحي

أســـــى حريـــــر شـــــآميّ يداعبـــــه

إبريـــق خمـــر عراقـــيّ شـــج نـــضحِ

دفعـــت روحـــي علـــى روحـــي فباعـــدني

نهـــدانِ عـــن جنـــة في موســـم لَقِـــحِ

أذكـــى فـــضائحه لثمـــاً فيطردنـــي

شـــداً إليـــه غريـــراً غـــير مفتـــضح

تـــستقرئ الغيـــبَ كفـــي في تحسّـــسه
كريـــزه فـــوق مـــاء ريِّـــقٍ مَـــرِحِ
يــا لانحـــدارٍ بطـــيءٍ أخمـــصٍ رخـــصٍ
ولارتفـــاعٍ ســـريعٍ طـــافحٍ طمـــح
مـــاذا لقيـــتُ مـــن الـــدنيا وأعجبـــه؟!
نهـــدٌ علـــيَّ ونهـــدٌ كـــان في سَـــرَحِ
هـــذا يطـــاعنني حتـــى أمـــوت لـــه
وذاك يمـــسح خـــدّي بـــالهوى الـــسمح
كـــأن زهـــرة لـــوزٍ في تفتحهـــا
تمـــجّ في قبـــضتي بـــالعنبر الـــنفح
دمـــشق عـــدتُ وقلـــبي كلـــه قـــرح
وأيـــن كـــان غريـــب غـــير ذي قـــرَح
هـــذي الحقيبـــة عـــادتْ وحـــدها وطـــني
ورحلـــة العمـــر عـــادت وحـــدها قـــدحي
أصـــابح الليـــل مـــصلوباً علـــى أمـــل
ألاّ أمـــوتَ غريبـــاً ميتـــة الـــشبح

يـا جنـة مـرّ فيهـا اللّـه ذات ضـحى

لعـل فيهـا نواسـينا علـى قـدحي

فحـار زيتونهـا مـا بـين خـضرته

وخـضرةِ الليـل والكاسـاتِ والملـحِ

لقـد سـكرت مـن الـدنيا ويـوقظني

مـا كـان مـن عنـبٍ فيهـا ومـن بلـحِ

تَهِـرّ خلفـي كـلاب الليـل ناهـشةً

أطـرافَ ثـوبي علـى عظـم مـن المـنح

ضـحكتُ منـها ومـني فهـي يقتلـها

سُـعارها وأنـا يغتـالني فرحـي



تحيّة الشام

د. عبد الله العثيمين

في مهجتي لربوعِ الشامِ تَحنانُ
صانتْ حُمَيّاهُ أزمانٌ وأزمانُ
وأمطرَتْهُ من التاريخ غاديةٌ
فاشتدّ أصلاً وماستْ منه أغصانُ
أتيتُ أحمله حرفاً تسطّرُهُ
مشاعرٌ وأحاسيسٌ ووجدانُ
إن لَمْ يَرُقْ لهُواة الشعر قافيةٌ
أو نَدَّ في سبكه لحنٌ وأوزانُ
فللهوى في عيون العاشقين رؤى
هي البيانُ إذا ما عزّ تِبْيانُ
وجئتُ يحملني عبر المدى قبسٌ
معطّرٌ بالشّذا الفوّاحِ فتّانُ

علـــى جنـــاحَيْنِ ميمـــونَيْنِ حفَّهُمـــا

مـــن مهـــبطِ الـــوحي والتَّنْزيـــل إيمـــانُ

ومـــن عـــشيّاتِ نجـــدٍ مـــستطابُ صـــبا

ريّـــاه شـــيحٌ وقَيْـــصُومٌ ورَيْحـــانُ

❖ ❖ ❖

أتيـــتُ مـــن وطـــني شـــوقاً إلى وطـــني

وأرضُ يَعْـــرُبَ لي دُورٌ وأوطـــانُ

عـــشقتُ وحـــدتَها منـــذ الـــصِّبا ورســـتْ

لهـــا بقلـــبي أساســـاتٌ وأركـــانُ

وعـــشتُ والـــدربُ تـــاريخٌ صـــحائفُهُ

عـــزٌ وأســـطُرُهُ للمجـــدِ تيجـــانُ

يفـــوح مـــن ســـيرة الهـــادي وشِـــرعتِهِ

عطـــراً نـــسائمهُ عـــدلٌ وإحـــسانُ

❖ ❖ ❖

دمـــشقُ يـــا ألـــق التـــاريخ هاأنـــذا

قـــدمتُ إذ لوّحـــتْ لي منـــكِ أردانُ

قـــدمتُ ألـــثِمُ مجـــداً شـــاده نُجُـــبٌ

بهـــم تـــشرّف مـــروانٌ وســـفيانُ

وأجتلـــي فيلقـــاً يمـــضي فتتبعُـــهُ

فيـــالقٌ شـــاقها للنـــصر ميـــدانُ

أنـــتِ الحــــضارةُ إشـــعاعاً ومنطلَقـــاً

وأنــــــتِ منبــــتُ أمجــــادٍ وبــــستانُ

قـــد قـــال فيـــك أمـــير الـــشعر قولتَـــهُ

وفي حِمـــاكِ علـــى مـــا قـــال بُرهـــانُ:

« لـــولا دمـــشقُ لَمـــا كانـــت طليطلـــةٌ

ولا زهـــتْ بـــبني العبّـــاس بغـــدانُ »



مسرد الشعراء

١- أحمد رامي: ١٨٩٢-١٩٨١

- ولد في حي السيدة زينب بالقاهرة، تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٤.
- أُرسل في بعثة دراسية إلى باريس عام ١٩٢٢ لدراسة اللغات الشرقية وقد ساعدته دراسته للغة الفارسية في ترجمة رباعيات الخيام بعد ذلك.
- على الرغم من أن شعر رامي قد ابتدئ بالفصحى إلا أنه انتقل للعامية بعد ذلك.
- عُرف رامي واشتهر من خلال قصائده الجميلة، والتي تغنت بالعديد منها أم كلثوم.
- له "ديوان رامي" في أربعة أجزاء ويرجع إليه الفضل في ترجمة رباعيات الخيام من الفارسية إلى العربية، هذا بالإضافة إلى تأليفه ما يقرب من مائتي أغنية.
- عانى من حالة اكتئاب شديدة عقب وفاة أم كلثوم، فاعتزل الحياة والناس، وتوفي في ١٩٨١.

٢- أحمد شوقي: ١٨٦٨-١٩٣٢

- مولده ووفاته بالقاهرة.
- تعلم في بعض المدارس الحكومية في تابع دراسته للحقوق في مونبلييه بفرنسا.
- عالج أكثر فنون الشعر، كما تناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والعالم الإسلامي.
- جمع شعره في "الشوقيات"، وهو في أربعة أجزاء.

٣- أحمد صافي النجفي: ١٨٩٧-١٩٧٧.

- ولد في النجف بالعراق، وتلقى تعليماً دينياً في شبابه.
- وصل إلى دمشق عام ١٩٣٠ فطابت له الإقامة فيها.
- ترجم رباعيات الخيام وطبعت في دمشق عام ١٩٣١.
- ترك عدداً من الدواوين الشعرية التي جمعت في أعماله الكاملة بعد وفاته.

٤- أدونيس: أحمد علي سعيد ١٩٣٠ —

- ولد في قرية قصابين، محافظة اللاذقية، ودرس فيها حتى المرحلة الثانوية، ثم تابع دراسته في جامعة دمشق، ومن ثم حصل على الدكتوراه من جامعة القديس يوسف، في بيروت.
- واحد من رواد الحداثة الشعرية الأوائل. أسهم في تأسيس مجلة "شعر" الذائعة الصيت، ومجلة مواقف، في بيروت.
- يزاوج بين الإبداع الشعري والتنظير النقدي والبحث الفكري. وقد أصدر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية والأبحاث والدراسات الفكرية والأدبية.
- صدرت آثاره الشعرية عن دار العودة في بيروت منذ مطلع السبعينيات،[ثم أعيد إصدارها مرات. وما تزال مجموعاته الشعرية تتوالى بالصدور تباعاً.

٥- أنور العطّار: ١٩٠٨ — ١٩٧٢

- ولد في دمشق، وتلقّى تعليمه الأول في بعلبك، ثم تخرّج في الجامعة السورية، قسم اللغة العربية وآدابها.
- عمل في حقل التدريس، في كلٍّ من سورية والعراق والسعودية.
- أصدر ديوانه الأول "ظلال الأيام" سنة ١٩٤٨م.

٦- إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٨

- أجبره الفقر أن يترك دراسته بعيد الابتدائية، فغادر لبنان إلى مصر ليعمل في تجارة التبغ.
- هناك برزت اهتماماته الأدبية وأصدر أول دواوينه عام ١٩١١.
- هاجر عام ١٩١٢ إلى أمريكا الشمالية.
- أسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة الرابطة القلمية.
- له ديوان مطبوع.

٧- البحتري: ٨٢١ - ٨٩٨

- هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي.
- ولد في منبج إلى الشمال الشرقي من حلب. وظهرت موهبته الشعرية منذ صغره.
- خلف ديواناً ضخماً، أكثر ما فيه في المديح وأقله في الرثاء والهجاء.
- كان مصوراً بارعاً، ومن أشهر قصائده تلك التي يصف فيها إيوان كسرى والربيع.

٨- بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي: - — ٧٧٩هـ

- ولد في دمشق وانتقل إلى حلب ثم مصر.
- عاد يتنقل في بلاد الشام، وله مجموعة من المؤلفات.

٩- بدوي الجبل: محمد سليمان الأحمد: ١٩٠٣ - ١٩٨١

- .ولد في قرية ديفة، محافظة اللاذقية، ودرس علومه الأولى في مدينة حماة، ثم

في مكتب عنبر بدمشق، ثم دخل كلية الحقوق بالجامعة السورية.

- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- عمل في الحقل السياسي فترة طويلة من الزمن، فشارك في ثورة الشيخ صالح العلي، فانتخب نائباً في البرلمان، وعيّن وزيراً لمرتين، ثم عاش في المنفى بقية حياته تقريباً.
- توفي في دمشق.
- صدر ديوانه عن دار العودة في بيروت سنة ١٩٧٨م.

١٠- بشارة عبد الله الخوري «الأخطل الصغير»: ١٨٨٥ - ١٩٦٨

- ولد في بيروت وفيها توفي.
- تلقى تعليمه الأولي في الكتاب، ثم أكمل في مدرسة الحكمة والفرير وغيرهما من مدارس ذلك العهد.
- أنشأ عام ١٩٠٨ جريدة البرق، واستمرت في الصدور حتى ١٩٦٨.
- تأثر بحركات التجديد في الشعر العربي المعاصر ويمتاز شعره بالغنائية الرقيقة والكلمة المختارة بعناية فائقة.
- صدر له عدد من الدواوين الشعرية.
- في حفل تكريمه بقاعة الأونيسكو ببيروت سنة ١٩٦١ أطلق عليه لقب أمير الشعراء.
- كان قد تسلم مسئولية نقابة الصحافة في العام ١٩٢٨.
- أنشأ حزباً سياسياً عرف باسم حزب الشبيبة اللبنانية.
- غنى له محمد عبد الوهاب ووديع الصافي وفيروز وفريد الأطرش.

١١- جورج صيدح: ١٨٩٣ - ١٩٧٨

- ولد في دمشق، وتعلم فيها، ثم هاجر إلى فرنسا عام ١٩٢٧، ومنها إلى فنزويلا.

- صدر ديوانه الأول "النوافل" عام ١٩٤٧ في بوينس آيرس، ثم توالت دواوينه.
- صدر ديوانه "صيدح" عام ١٩٧٢-١٩٧٣ في مجلدين اثنين، كما صدر كتابه "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية" عام ١٩٥٦ في القاهرة.

١٢-حسان بن ثابت: - - ٦٧٤م

- شاعر النبي، عاش في المدينة المنورة.
- له ديوان مطبوع.

١٣-خليل مردم بك: ١٨٩٥ - ١٩٥٩

- ولد في دمشق، وتعلّم فيها. ودرّس الأدب العربي في الكلية العلمية الوطنية بدمشق.
- أسّس جمعية الرابطة الأدبية مع بعض الأدباء في دمشق سنة ١٩٢١م، وانتخب رئيساً لها.
- عمل في الحقل السياسي، فعيّن وزيراً عدّة مرّات.
- انتخب رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق بعد وفاة رئيسه الأول محمد كرد علي، واستمرّ فيه حتى وفاته.
- أصدر عدداً من الدراسات الأدبية والتراثية، وحقّق مجموعة من الدواوين الشعرية.
- صدر ديوانه في مجلّدين اثنين عن مجمع اللغة العربية بعد وفاته.

١٤- خليل مطران: ١٨٧١-١٩٤٩

- ولد في بعلبك وتعلم بالمدرسة البطريركية ببيروت وسكن مصر وفي القاهرة توفي.

- تولى تحرير جريدة "الأهرام" بضع سنين، ثم أنشأ "المجلة المصرية" و"الجوائب المصرية".
- صنّف وترجم عدداً من الكتب في الاقتصاد والأدب والتاريخ.
- لقّب بشاعر القطرين، له ديوان مطبوع في أربعة أجزاء.

١٥- خير الدين الزركلي: ١٨٩٣ - ١٩٧٦

- ولد في دمشق، ودرس الابتدائية فيها. ثم تابع دراسته الثانوية في بيروت.
- عمل في الصحافة، وأصدر جريدة "المفيد".
- تنقّل في عدّة بلدان عربية بسبب الاحتلال الفرنسي، وعمل في الحقل السياسي والسلك الدبلوماسي في الأردن والسعودية؛ حيث عيّن رئيساً لديوان رئاسة الحكومة في الأردن، كما عيّن سفيراً للسعودية في المغرب.
- استقرّ في القاهرة بعد أن تقاعد، وفيها توفّي.
- صدرت أعماله الشعرية الكاملة في بيروت عن مؤسسة الرسالة، كما صدرت موسوعته الشهيرة "الأعلام" عن دار العلم للملايين في بيروت، في ثمانية مجلدات.

١٦- رشيد سليم الخوري، الشاعر القروي: ١٨٨٧ - ١٩٨٤

- ولد في منطقة البربارة الشمالية بلبنان.
- هاجر إلى أميركا الجنوبية في العام ١٩١٣.
- يعدّ من أبرز شعراء المهجر. أجاد في الشعر الغنائي.
- له مجموعة من الدواوين.

١٧- سعيد عقل: ١٩١٢-

- من أبرز الشعراء اللبنانيين المعاصرين.

- ولد في زحلة بلبنان وعمل في التعليم والصحافة.
- صدر له عدد من الدواوين الشعرية.

١٨- سليمان العيسى: ١٩٢١ —

- ولد في قرية النعيرية، في لواء إسكندرون، حيث تلقى تعليمه الأول، ثم نزح إلى حلب بعد سلخ اللواء. ثم حصل على إجازة في اللغة العربية من دار المعلمين العالية ببغداد. وعاد إلى سورية مدرساً ثم موجهاً أول للغة العربية.
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.
- صدرت أعماله الشعرية الكاملة في مجلدين ضخمين، يحتويان أشعاره منذ عام ١٩٥٢، كما صدر له "الديوان الضاحك".
- انصرف إلى الكتابة الشعرية والمسرحية للأطفال، منذ بداية السبعينيات.
- يعيش حالياً في دمشق بعد أن اغترب زمناً طويلاً في اليمن.

١٩- شفيق جبري: ١٨٩٨ - ١٩٨٠

- ولد في دمشق، ودرس في بيروت حتى حصوله على الثانوية. ثم انتقل مع أهله إلى يافا ليعيش فيها فترة وجيزة.
- عاد إلى دمشق لينشر شعره ومقالاته.
- عيّن رئيساً لديوان المعارف، ثم أستاذاً ومديراً لكلّيّة الآداب في الجامعة السورية.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- له الكثير من المؤلّفات الأدبية.
- له ديوان وحيد بعنوان "نوح العندليب".

٢٠-شفيق بن عبد الجبار قدوري "الكمالي": ١٩٣٠ - ١٩٨٥.

- ولد في البو كمال وانتقل منذ الصغر إلى بغداد، واختار لنفسه مع أخيه عبد اللطيف لقب (الكمالي) نسبة إلى بلدة البوكمال التي ولد فيها.
- حصل على إجازة في اللغة العربية من جامعة بغداد وماجستير من جامعة القاهرة.
- اختير نائباً لرئيس اتحاد الأدباء في العراق، و كان رئيس الاتحاد وقتذاك محمد مهدي الجواهري.
- تسلم منصب الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العرب.
- يكتب القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، وله النشيد الوطني العراقي.
- طبع له عدد من المجموعات الشعرية، بالإضافة إلى أطروحته في الماجستير "الشعر عند البدو".
- قتل في بغداد.

٢١- الصنوبري: - — ٣٣٤هـ

- هو أحمد بن محمد بن الحسن الضبي.
- نشأ بحلب وقضى أكثر حياته فيها.
- يمتاز بشعر الطبيعة الذي برع فيه.
- له ديوان مطبوع.

٢٢- عبد الله بن صالح العثيمين: ١٩٣٧-

- ولد في عنيزة بالمملكة العربية السعودية.
- حائز على الدكتوراه بالتاريخ من جامعة أدنبره في سكوتلاندا.
- عضو مجلس الشورى السعودي.

- الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، الرياض، السعودية.
- له عدد من الكتب والدراسات والبحوث.

٢٣- عبد الله يوركي حلاق: ١٩١١- ١٩٩٦

- ولد في حلب.
- أصدر مجلة الضاد ١٩٣١ وتولى إدارة تحرير مجلة الكلمة.
- صدر له عدد من الدواوين الشعرية والدراسات.

٢٤- عدنان مردم بك: ١٩١٧-١٩٨٨

- ابن العلامة والشاعر خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ولد في دمشق، وتلقّى دراسته الابتدائيّة والعالية منها.
- نال شهادة البكالريوس في الآداب والفلسفة والحقوق.
- عمل في حقل القضاء مستشاراً في محكمة التمييز.
- له عدد من الدواوين الشعرية ومجموعة كبيرة من المسرحيات الشعرية.

٢٥- لسان الدين ابن الخطيب: ١٣١٣ - ١٣٧٤

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب.
- ولد في لوشة بالأندلس، ودرس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بفاس.
- ترك عدداً كبيراً من المؤلفات في عدد من الفروع المعرفية.
- قتل بطريقة مأسوية بدسيسة من أحد تلاميذه.

٢٦- المتنبي: ٩١٥ - ٩٦٥

- هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي.
- ولد بالكوفة وتنقل في البادية السورية.
- ثم تنقل بين حلب ومصر وشيراز.
- قتل في طريق عودته إلى العراق.
- له ديوان شعري يعد من أشهر وأهم ما ترك الشعر العربي.

٢٧- مظفر عبد المجيد النواب: ١٩٣٤-

- ولد في بغداد.
- عاش قسماً من حياته سجيناً ومطارداً.
- تنقل بين العواصم العربية والأوروبية، واستقر به المقام أخيراً في دمشق.
- كرس حياته لتجربته الشعرية وتعميقها، والتصدي للأحداث السياسية التي تلامس وجدانه الذاتي وضميره الوطني.

٢٨- المقّري التلمساني: ١٥٨٤ — ١٦٣١

- هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى.
- مؤرخ وأديب، له عدد من التصانيف الشهيرة والمهمة فيما يتعلق بتاريخ الأندلس.
- له شعر حسن وأخبار ومطارحات مع أدباء عصره.

٢٩- محمد البزم: ١٨٨٤- ١٩٥٥

- ولد في دمشق، وفيها تعلم أصول النحو والبلاغة وعلم الكلام والمنطق.
- عمل مدرساً للغة العربية.

- انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق.
- تولى رئاسة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.
- صدر ديوانه بعد وفاته في مجلدين اثنين.

٣٠- محمد مهدي الجواهري: ١٨٩٩ -١٩٩٧

- ولد في النجف وتلقى تعليماً دينياً فيها.
- نظم الشعر في سن مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب.
- صدر له ديوان "بين الشعور والعاطفة" عام (١٩٢٨). وكانت مجموعته الشعرية الأولى قد أعدت منذ عام (١٩٢٤) لتُنشر تحت عنوان "خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح".
- تنقل بين سوريا، مصر، المغرب، والأردن، ولكنه استقر في دمشق ونزل في ضيافة الرئيس الراحل حافظ الأسد. كرمه الرئيس الراحل «حافظ الأسد» بمنحه أعلى وسام في البلاد، وقصيدته «دمشق جبهة المجد» تعتبر ذروة من ذرا شعره ومن أفضل قصائده
- توفي الجواهري في إحدى مشافي دمشق.
- جمع شعره في ديوان ضخم.

٣١- محمود درويش: ١٩٤١- ٢٠٠٨

- قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني التي تم إعلانها في الجزائر.
- ولد في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا.
- اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدأ من العام ١٩٦١ بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي.
- عام ١٩٧٢ حيث توجه إلى للاتحاد السوفييتي للدراسة، كما أسس مجلة الكرمل الثقافية.

- شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وحرر مجلة الكرمل.
- نال عدداً كبيراً من الجوائز والأوسمة العربية والعالمية.
- أصدر عدداً كبيراً من المجموعات الشعرية.
- توفي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد إجراءه لعملية القلب المفتوح في المركز الطبي في هيوستن، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

٣٢- نزار قباني: ١٩٢٣ - ١٩٩٨

- ولد في مدينة دمشق، وفيها درس حتى تخرّج في كلية الحقوق بجامعة دمشق.
- عمل في السلك الدبلوماسي السوري، فتنقل بين عدّة بلدان شرقية وغربية، ثم استقرّ في بيروت، فترة طويلة، حتى انتقل إلى لندن، وفيها توفي.
- صدرت مجموعته الشعرية الأولى "قالت لي السمراء" سنة ١٩٤٤. وتوالت مجموعاته الشعرية حتى وصلت إلى ثلاثين مجموعة.
- صدرت أعماله الكاملة سنة ١٩٧٧ في مجلدين ضخمين، وتوالت في الصدور حتى وصلت إلى تسعة مجلدات.

المحتـوى

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





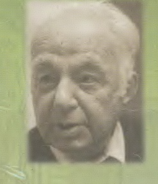

أمّا دمشق فقد أبدت محاسنها

وقد وفى لك مطريها بما وعدا

إذا أردتَ ملأت العين من بلدٍ

مستحسنٍ وزمانٍ يشبه البلدا

"البحتري"









مطبعة الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٠٨

سعر النسخة داخل القطر ١٢٠ ل.س

في الأقطار العربية مايعادل ٢٤٠ ل.س